طارق حجي...
بين السياسة والأدب.

تأليف

دكتور/صلاح عدس.

طارق حجي...
بين السياسة والأدب.

تأليف
دكتور/صلاح عدس.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب حياة وفكر طارق حجي كأديب ومفكر سياسي ومنظرٌ اقتصادي له أبحاثه وكتبه المنشورة في مصر باللغة العربية وفي الخارج باللغة الإنجليزية... وهو ظاهرة فريدة هزّت حياتنا الثقافية لأنه ظهر بعد فترة كممت فيها الشمولية الأفواه حتي ظنناً أن بلادنا أصبحت عاجزة عن إنجاب جيل مثل جيل العمالقة الراحلين: العقاد والحكيم وطه حسين.. فإذا بظهور كاتبنا يؤكد خصوبة الفكر المصري... فإن طارق حجي هو "ديكارت" مصر وعقادها الجديد... وقد توالت كتبه التي نادي فيها بالحرية والديموقراطية وقدم مشروعاً قومياً لعلاج مشاكل مصر وسوف تثبت الأيام صدق مشروعه مثلما أثبتت صدق نبوءته بسقوط الماركسية ومثلما أثبت هو نجاحه في إدارة أكبر شركات البترول العالمية...

الفهرست

المقدمة

إن المنهج الذي نتبعه في هذا الكتاب هو المنهج النفسي لذلك سنطرح هنا عدة أسئلة ثم نحاول الإجابة عنها من خلال صفحات كتابنا هذا وأول هذه الأسئلة:

ما هو مفتاح شخصية وفكر طارق حجي؟

وهذا يجرنا لسؤال أخر يتعلق بالسؤال الأول ويفسره: ما هي العوامل المؤثره في حياته وبيئته المحلية والعالمية...

ثم نحاول الإجابة علي سؤال ثالث: ما هو موقف كاتبنا من الماركسية والماركسيين ؟

وسنعتمد في إجاباتنا علي كتبه الثلاثة: أفكار ماركسية في الميزان، والشيوعية والأديان، وتجربتي مع الماركسية.

أما السؤال الرابع فهو: ما هو موقف كاتبنا من الحرية والديموقراطية وما هو المشروع القومي الذي يقدمه لنا والذي يوضح فيه أسباب وعلاج أزمة مصر وهل هي أزمة سياسية وإقتصادية أم أزمة إدارة أو أزمة حضارة أو بصيغة أخري هل نحن متخلفون لأننا فقراء أم فقراء لأننا متخلفون؟ وسنعتمد في إجابتنا علي هذا السؤال علي كتبه الأخري مثل: ثالوث الدمار، الأصنام الأربعة، الإدارة والمجتمع، ما العمل؟، ومصر بين زلزالين... أما السؤال الخامس والأخير فهو عن الجانب الإبداعي والأدبي في كتابات طارق حجي، لأنه كاتب متعدد الجوانب في شخصيته وفكره مما يذكرنا بعلمائنا العرب القدامي أمثال الفارابي وإبن سينا والرازي الذين كان الواحد منهم طبيباً وعالماً وشاعراً وفقيهاً وفيلسوفاً، وكذلك كاتبنا يتميز بثقافته الموسوعية وعمق فكره السياسي وجمال تعبيره وأسلوبه الأدبي.

حياته وبيئته

إن المنهج النفسي يعتبر كتابات أي أديب إنعكاساً لتجاربه السيكلوجية وحياته الخاصة وكل ما يتعلق بذلك من مؤثرات عامة سواء في بيئته المحلية أو العالمية، وذلك لأن الأديب مثل جهاز الرادار الحساس الذي يلتقط أدق المؤثرات ويعطي أدق الاستجابات لها، لأنه أكثر بني قومه رهافة حس وأكثرهم ثقافة وحكمة، مما يجعله يقف منهم موقف "زرقاء اليمامة" من أهلها حيث كانت أكثرهم حدة في البصر فتري مالا يرون وتنبههم إلي ما لا يدركون من المخاطر، وهذا بالضبط هو حال "طارق حجي" فيما كتبه عن هموم بلدنا ومشاكلها باعتباره مفكراً سياسياً ومنظراً اقتصادياً وباعتباره أديباً له حاسة أدبية وأسلوب لغوي متميز الخصائص...

ويهتم المنهج النفسي بالبحث عن مفتاح شخصية الأديب أي الفكرة الأساسية التي تشغل حياته وفكره والتي بالتالي تفسر كتاباته، فالأديب مثل قلعة هائلة مغلقة لها عدة أبواب لكن لها مفتاح هام يفض مغاليقها ويكشف ما بداخلها... فما هو مفتاح شخصية وفكر طارق حجي؟

طارق حجي وقضية الحرية:

أعتقد أن مفتاح شخصية طارق حجي وفكره هو: الحرية....

فإن رحلته في الحياة والرحلة داخل عقله هي رحلة من أجل الحرية، ولذلك فإن كل كتاباته هي صرخة من أجل الحرية بداية من رفضه للماركسيةوالماركسيين إلي دعوته للديموقراطية والحرية. وإذا كان "جان جاك روسو" هو كاتب الحرية في فرنسا وإذا كان دافيد هنري ثورو" هو كاتب الحرية في أمريكا فإن طارق حجي هو كاتب الحرية في مصر هو ومن قبله لطفي السيد وبقية ما يمكن تسميته بإسم

جيل كتاب الحرية الذي ظهر زمنياً بعد ثورة ٢٣ يوليو وليس نتاجاً لها... والسؤال الآن هو من أين استقي كاتبنا فكرة الحرية وكيف جاء تعلقه بقضية الحرية؟؟...

وهنا نجد عدة تفسيرات وعدة جذور بيئية وتاريخية بعضها يرجع إلي التراث الديني الذي ورثه كاتبنا باعتبار أن الإسلام دين الحرية...

أما العوامل الأخري التي تتعلق بالتاريخ فأولها تاريخ حياته الخاصة وبيئته المصرية والعالمية...

فإن تاريخ مصر وتاريخ الإنسانية بوجه عام ما هو إلا صراع من أجل الحرية أو علي حد تعبير هيجل من أجل المزيد من الحرية...

وقد شهدت مصر فترات من الاستبداد الداخلي.. وتعرضت لسلسلة من الغزو الخارجي طوال تاريخها وفي مقابل ذلك شهدت موجات من الصراع والثورة ضد الاستبداد أو ضد الاحتلال... ويحدثنا "إيرمان" في كتابه الشهير "مصر القديمة" عن عصر بناة الأهرام وتسخير الشعب المصري في إنجاز هذه الأعمال الهندسية الضخمة الرائعة لمجرد تخليد فرعون وتشييد مقبرة له..مما يدل علي الاستبداد والقهر... ويحدثنا عن أول ثورة شعبية في العالم قام بها المصريون ضد فراعنة الدولة القديمة حتي أن فراعنة الدولة الوسطي كفوا عن بناء مثل هذه الأهرامات الضخمة واتجهوا إلي التنمية الاقتصادية لخدمة الشعب... * وشهدت مصر غزو الهكسوس ثم غزو ليبيا لها بل وغزو النوبة ثم احتلال الأشوريين لمصر ومن بعدهم الفرس ثم الأغريق علي يد الإسكندر ومن بعده البطالمة ثم الرومان... وبعد ذلك الاحتلال التركي واستبداد المماليك... ثم في العصر الحديث احتلال فرنسا لمصر ومن بعدها انجلترا...

وشهدت مصر في مقابل ذلك سلسلة من الثورات والانتفاضات فقاومت الهكسوس وطردتهم بزعامة أحمس، وطردت الأشوريين بزعامة "أبسماتيك"، وقاومت الصليبين بزعامة "صلاح الدين"، وقاومت التتار بزعامة "قطز"، وقاومت استبداد المماليك بزعامة

---

* Ancient Egypt by Erman P. 120

مشايخ الأزهر حتي استخلصوا أول وثيقة لإعلان حقوق الإنسان قبل "الماجناكارتا" في انجلترا.. وقاومت مصر الحملة الفرنسية بزعامة محمد كريم وعمر مكرم، وقاومت الاحتلال البريطاني بزعامة عرابي ومصطفي كامل ومحمد فريد وسعد زغلول، وقامت بثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ لطرد الانجليز...

وليس تاريخ مصر فقط هو تاريخ الصراع من أجل الحرية وإنما تاريخ الإنسان بوجه عام هو تاريخ الصراع من أجل الحرية.... منذ عهد العبودية أيام الإغريق والرومان إلي عهد الإقطاع في العصور الوسطي والاستبداد الفكري أنذاك الذي رفع شعاري الكنيسة وأرسطو وباع للناس "صكوك الغفران" وأجبر عالماً مثل جاليليو علي التراجع عن فكرة دوران الأرض خشية إعدامه... ثم أخيراً عهد النازية والفاشية والشيوعية في القرن العشرين... أي أن تاريخ الإنسانية بوجه عام هو سلسلة من الاستبداد والقهر وأوضح مثال لذلك محاكم التفتيش وجرائم النازية وقبلها الاضطهادات الدينية في أوروبا والصراعات بين الكاثوليك والبروتستانت حتي طردوهم إلي أمريكا بعد اكتشافها ولذلك رفعوا هناك شعاراً لهم تمثال الحرية... فالحرية هي ما هربوا إليه وهي الحلم وهي الأمل الذي ردده الكثير من الشعراء والأدباء في أمريكا بحيث أصبحت الحرية هي محور الأدب أو الفكر الأمريكي بوجة عام... * بل إن تاريخ أمريكا قد شهد سلسلة من الحروب من أجل تحقيق الحرية بداية من حرب الإستقلال ضد الانجليز ثم الحرب الأهلية لتحرير العبيد.. أما الحرية في مجال الفكر السياسي فتتمثل في فكرة "الديموقراطية" وأما في مجال الفكر الاقتصادي فتتمثل في نظام "الاقتصاد الحر" الذي وضع أساسه "أدم سميث" حين رفع شعار: "دعه يعمل... دعه يمر"...
أما في مجال الفلسفة وعلم النفس فإن حديث "وليم جيمس" عن "تيار الوعي" هو رفض للنظرة المادية الميكانيكية للإنسان... أما في مجال الأدب الأمريكي فإن فكرة الحرية تبدو واضحة في كتابات

---

*A history of the United States by R.B.Nye. and F.E. Morpurgo

"دافيد هنري ثورو" وصديقه "إمرسون".. وكذلك في رواية "كوخ العم توم" التي كتبها هاريت بيتشر ستو" وكانت بمثابة صرخة لتحرير العبيد وساهمت في تأجيج الحرب الأهلية بين ولايات الشمال وولايات الجنوب... وفي تلك الفترة أيضاً ظهر الشاعر الكبير "والت هويتمان" ويحدثنا عنه لويس أنترمير في كتابه "الشعر الأمريكي المعاصر" فيقول لقد كان "هويتمان" ليبرالياً ديموقراطياً إنساني النزعة يعطينا الأمل والتفاؤل ولنسمعه في إحدي قصائده وعنوانها:

"إبتهجوا يا رفاق السفينة" يقول:

حياتنا تبدأ

ونحن نترك الهلب الطويل.. الطويل

وأخيراً تتخلص السفينة من رباطها وتقفز وتتحرك بعيداً عن الشاطيء في خفة

إبتهجوا يا رفاق السفينة

إبتهجوا....

فالسفينة هي رمز للحياة الأمريكية الإنسانية عامة والمستقبل الذي يبشر به "هويتمان" هو مستقبل الحرية...

ويقول "كنيث ريكسروث" في كتابه "الشعر الأمريكي في القرن العشرين": لقد عبر "هويتمان" في شعره عن إيمانه المتفائل بإنجاز الحلم الأمريكي أي الحلم بأناس أحرار في تجمعات حرة تشكل مجتمعاً حراً داخل وطن حر.. ذلك الحلم الذي طالما راود عقول الأمريكيين والذي ردده الكثير من الشعراء بعد ذلك.. *

كان هذا عن فكرة الحرية في أدب القرن التاسع عشر في أمريكا أما عن أدب القرن العشرين فيحدثنا "هاري مور" في كتابه: "مؤلفي الرواية الأمريكية" إذ يقول: "لقد كانت صيحة الكاتب الأمريكي في سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولي هي صيحة من أجل الحرية... حرية الفرد في التعبير عن نفسه وكانت الفكرة السائدة لدي الكتاب في تلك الفترة فترة العشرينات هي أن الروح الحرة يجب

---

* Modern American Poetry by Louis Antermyr P.75

أن تبحث عن الحرية وفي ذلك تأثر بأفكار "ثورو"... وشاعت أيضاً فكرة أن يتحرر الفرد وينطلق حافي القدمين فعلاً أو مجازاً... حتي أننا نجد بعض أبطال الروايات أنذاك يخلعون أحذيتهم بل يخلعون ملابسهم ليسيروا علي الأعشاب وليرقدوا ملتصقين بالتربة. *

وإذا تتبعنا الأعمال الأدبية في أمريكا في القرن العشرين وجدناها كلها ذات مضمون واحد هو الحرية بكل مفاهيمها سواء السياسية أو السيكلوجية أو الفلسفية أو الاجتماعية.. ويصدق هذا علي الأعمال الشعرية منذ "إليوت"، و"كامنجز"، و"إرشيبالدماكليس" حتي "روبرت لويل"، و"مارك ستراند"، و"كنيث ريكسرون"، و"ريتشارد ويلبور"، و "جيمس تيت".... وكذلك الأعمال المسرحية منذ يوجين أونيل"، وتنسي ويليامز"، وكذلك "أرثر ميللر"، و"إدوارد إلبي".. ويصدق هذا أيضاً علي الأعمال الروائية منذ "هيمنجواي" و"فوكنر"، و"توماس وولف" حتي جيل الروائيين اليوم..

هذا عن الحرية في المضمون أما عن الحرية في الشكل الفني فقد حاول كثير من الكتاب التحرر من قيود الشكل مثلما فعل "وليم ساروريان" في اتجاهه السيريالي ومثلما فعل "إدوارد إلبي" في اتجاهه "اللامعقول" فكل هذه محاولات من جانب الأديب الأمريكي لممارسة الحرية في التعبير الفني... والآن قد يتساءل البعض وما علاقة كل هذا الكلام بطارق حجي؟ وللإجابة علي هذا السؤال نقول: إننا هنا بصدد تفسير قضية الحرية عند طارق حجي وتتبع جذورها ودوافع تعلقه بها ولذلك قلنا إنه من بين هذه الجذور ما يرجع إلي التاريخ وما يرجع إلي ثقافته.. وكاتبنا هذا هو ابن مصر وقبل ذلك هو "إنسان" وقد أوضحنا أن تاريخ مصر وتاريخ الإنسان عامة هو تاريخ الصراع من أجل الحرية... فلاعجب إذن أن تكون الحرية هي قضية طارق حجي وقضية جيله الذين أسميتهم الإسم جيل الحرية علي غرار تسمية أدباء أمريكا بعد الحرب العالمية الأولي بهذا الاسم

---

*American Novel writers by: Hary Moore   P. 60

... أما حديثي عن قضية الحرية في الأدب والفكر في مصر والعالم العربي فهي كما قلنا تمثل القضية الرئيسية وهي أصلاً نابعة من قضية الأصالة والمعاصرة التي بدأ ظهورها منذ الحملة الفرنسية حين جاءت معها بشيئين أولهما جيش الاحتلال وهذا أثار لدي المصريين رد فعل رافض وعدائي وأما الشيء الثاني فهو العلم الذي حمله علماء الحملة الفرنسية وهذا العلم القادم من الغرب قد أثار رد فعل لدي المصريين قوامه الإعجاب والانبهار وفي ذلك يحدثنا الجبرتي في كتابه: " عجائب الآثار في التراجم والأخبار" فيقول عن علماء الحملة الفرنسية حين استضافوا بعضاً من علماء الأزهر وأعيان مصر ومثقفيها لعرض أبحاثهم العلمية عليهم: "وأفردوا مكاناً في بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوي.. ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان أنه أخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض ووضعه علي السندال وضربه بالمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت القرابانه انزعجنا منه فضحكوا منا... ولهم أمور وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا تسعها عقول أمثالنا..." *

فهنا نلاحظ بداية نشأة عقدة الخواجة والإحساس بالانبهار أمام علوم الغرب وتقدم أوروبا مما أنشأ تيار المعاصرة الذي نادي به المستغربون الذين يرون أن إصلاح الأمة العربية لا يكون إلا بتقليد كل ما هو غربي وقد رفع ذلك الشعار وطبقه أتاتورك وإسماعيل باشا في مصر حين قال سأجعل مصر قطعة من أوروبا... ومن جهة أخري نشأ تيار آخر رافض لجيش الاحتلال الفرنسي وبالتالي رافض لكل ما هو غربي وأوروبي ويري هؤلاء أن إصلاح الأمة لا يكون إلا بالعودة إلي الإسلام وإحياء الماضي المجيد وهؤلاء هم دعاة الأصالة.... ثم ظهر تيار جمع بين الأصالة والمعاصرة وهذا الاتجاه حمله دعاة الإصلاح مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مصر وخير الدين باشا الزركلي في تونس ومن قبلهم رفاعةالطهطاوي.. ثم تفرعت بعد ذلك من مذاهب الإصلاح في مصر

---

*الجبرتي ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ص ٢٨٥ ـ دار الشعب

والعالم العربي وكانت القضية الرئيسية التي اتضحت فيها جميعاً هي قضية الحرية.
فنجد من رفع لواء الحرية السياسية وهم المنادون بالاستقلال بداية من عرابي ومصطفي كامل وسعد زغلول ومنهم من رأي أن الوطن قد يكون حراً ولكن المواطن غير حر لذلك رفع لطفي السيد دعوة الديموقراطية ورفع قاسم أمين دعوة حرية المرأة...
وظهرت قضية الحرية في الأدب العربي في أعمال طه حسين وغيره من الأدباء الذين تعرضوا للقهر والظلم الاجتماعي والنفسي في أدبهم...
وهذا هو تفسيرنا لظهور قضية الحرية في فكر طارق حجي وكتاباته إلي جانب العوامل الأخري التي تعرضنا لها وسنتعرض لها فيما بعد...

طارق حجي وحياته وبيئته الخاصة

إن تاريخ حياة كاتبنا هو تاريخ قراءاته ومراحلها هي مراحل ثقافته أي أن رحلة طارق حجي في الحياة هي رحلته مع الكتاب... إنها رحلة في العالم السحري الذي تخلقه الكلمات وتشد كل من يتطلع إليها فلا يملك منها فكاكاً لأنه يجد فيها الخلاص والإشباع...

وقد بدأت رحلة كاتبنا مع القراءة منذ طفولته المبكرة حين جاءته والدته الكريمة قائلة ذات يوم: ألن تقرأ شيئاً جاداً وتكف عن هذه الترهات؟!! وكانت هذه الترهات هي مجلات الأطفال، ولما سألها كاتبنا وهو لم يبلغ العاشرة بعد وما هي هذه الكتب الجادة؟ ناولته كتاب "عودة الروح" وكتاب "شهر زاد" لتوفيق الحكيم فألتهمهما التهاماً وفتح له ذلك باب العالم السحري عالم القراءة والثقافة... وظل كاتبنا منذ ذلك اليوم وهو في حالة قراءة دائمة أو علي حد تعبير أستاذنا "العقاد" حين كان يقول لنا في ندواته: "أنا لا أذكر نفسي إلا قارئا" ... وظل طارق حجي يقرأ ويقرأ ويفتح لنفسه عوالم جديدة في الفكر... إنه يقرأ مثلما يتنفس فالثقافة بالنسبة

له ليست ترفاً وإنما هي وظيفة حياتية... تري ماالذي كان يدفعه إلي قراءة المعلقات السبع أو قراءة المترجمات الوافدة من بيروت في الستينات مثل أعمال سارتر وكامي وكولن ويلسون... وما الذي كان يدفعه إلي إقتناء الأعمال العظيمة لتشيكوف وديستويفسكي وتولستوي حين كانت مكتبة دارالشروق تبيعها بأثمان رخيصة... ما الذي كان يدفعه إلي السباحة في بحور الفكر العميقة في مثل هذه السن الصغيرة؟!! أعتقد أنه كان لديه دافع غريب نحو النبوغ والتفوق ظهر في سن مبكرة وكأنما تؤهله العناية الإلهية للدور الريادي الذي اتخذه فيما بعد في حياتنا الثقافية من خلال مؤلفاته أي أنه يمكن تفسير هذا الدافع المبكر للقراءة علي طريقة التحليل النفسي الذي يري أن دافع القوة والتفوق هو الدافع الأساسي لسلوك الإنسان وهو المحرك لميكانيزمات الحياة النفسية، وهوبذلك يخالف تفسير "فرويد" للسلوك بالدافع الجنسي أو ما يسميه باسم طاقة "الليبيدو"، إلا أنني أعتقد أنه لا مدرسة التحليل النفسي ولا المدرسة السلوكية عند بافلوف استطاعت أن تقدم تفسيراً كاملاً لكل الحياة السيكلوجية عند الإنسان إذ تظل هناك مناطق غامضة في سيكلوجية الإنسان ومنها هذا الدافع المبكر للقراءة عند كاتبنا وكأنما الكتاب بالنسبة إليه مثل النداهة التي حدثتنا عنها أساطير الفلكلور الشعبي وحواديت الجيران في مصر، إذ كانت النداهة أي جنية البحر تظهر للشخص وتناديه وتجذبه إليها فلا يملك إلا أن يتبعها حتي يغرق في البحر فتأخذه معها نحو الأعماق حيث عالم الجن المسحور...

وهذا يذكرنا أيضاً بملحمة الأدوية التي كتبها "هوميروس" وصور لنا فيها عودة البطل الإغريقي "أوديسيوس" بعد انتصاره في حرب طروادة وكيف لم يعد إلي وطنه لأن الساحرات جذبته بعيونهن إلي جزيرتهن المسحورة فمضي بسفينته مستسلماً لهن حيث أقام بالجزيرة سنوات عديدة..

وهكذا كانت القراءة والثقافة وكان الكتاب بالنسبة لأديبنا الذي ما

أن بلغ العشرين من عمره حتي كان قد أجاد اللغة الإنجليزية إجادة تامة وكذلك اللغة الفرنسية وذلك بمجهوده الشخصي وفتح له ذلك أبواب الإطلاع علي أمهات الكتب في الفلسفة والأدب والسياسة والإقتصاد.... وبذلك تكونت له ثقافة موسوعية تجمع بين التراث الأدبي والتاريخي والديني والفكر الإسلامي وبين الأدب والفكر الغربي...

أما عن <u>التعليم والوظيفة</u> في حياة كاتبنا فقد تخرج من كلية الحقوق وحصل علي دراساته العليا في علومها القانونية والسياسية ثم عمل مدرساً بكلية الحقوق بجامعة قسطنطينة بالجزائر ثم مدرساً بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية بجامعة محمد بن عبد الله بمدينة فاس كما عمل محاضراً بجامعات السعودية...

وأخيراً عمل رئيساً لشركة "شل" للبترول وفيها حقق نجاحاً عالمياً في إدارة أكبر شركات البترول في مصر والشرق الأوسط وذلك قبل أن يبلغ الأربعين من عمره بكثير وهو بذلك قد تخطي المعادلة الصعبة أي صعوبة الجمع بين النجاح في الفكر النظري والنجاح في التطبيق العملي وهذا ما لم يستطع تحقيقه الكثير من المفكرين مثل أصحاب الأحلام أو الأوهام الإشتراكية بداية من أفلاطون في كتابه "الجمهورية" حتي "روبرت أوين" و"سان سيمون" و"فوريه" فقد أتيح لبعضهم فرصة إقامة مجتمع أو معسكرات لتحقيق أفكارهم ولكنهم فشلوا... أما كاتبنا فيشكل ظاهرة فريدة في هذا المضمار فله قدرة فكرية علي التنظير وله قدرة مماثلة علي التطبيق فمثلاً في مجال الإدارة له بحث عميق نشره في كتاب بعنوان "الإدارة والمجتمع" وله أبحاث أخري بالإنجليزية في نفس الموضوع وهو أستاذ زائر بعدد من الجامعات الأمريكية وأستاذ بمعهد إعداد القادة للصناعة (وزارة التنمية الإدارية) وفي نفس الوقت حقق نجاحاً باهراً في إدارة أكبر شركات البترول العالمية، وهذا هو معني قولنا إنه استطاع أن يحل المعادلة الصعبة التي يعاني منها كل المفكرين والمثقفين وهي الفجوة بين النظرية والتطبيق... فقد ثبت

مثلاً أن بعض أساتذة الجامعات قد يكونون من أصحاب الكلام والنظريات ثم إذا ما تم تعيينهم في منصب الوزراء فإنهم يفشلون في إدارة وزاراتهم، بل إن بعض الأكاديميين في مجال الإقتصاد قد يفشلون في إدارة كشك للسجائر، أما كاتبنا فلم يعان من هذه الازدواجية و"الشيزوفرينيا" أي الانفصام بين الفكر والتطبيق وهذا هو مرض المثقفين وأصحاب الفكر عموماً وفي مصر بوجه خاص، وهذا هو ما يجعلنا نقدر كاتبنا طارق حجي لمواهبه وقدراته في مجال الفكر ومجال التطبيق العملي..

أما عن رحلاته فقد قضي في بلدان المغرب العربي حوالي ست سنوات أفادته في الإحتكاك بالشباب هناك الذي أستهواه الفكر الماركسي وأفادته في معرفة انحطاط الأحوال في بلدان المغرب التي رفعت شعار الاشتراكية مما جعله يعدل أفكاره الأولي عن الماركسية فقد كان من المؤمنين بها ثم انقلب إيمانه إلي كفران تام بعد تجربته الشخصية مع رفاقه وأساتذته من الماركسيين المصريين وما لمسه في سلوكهم من فساد أخلاقي فأحس من تفاهتهم وانحلالهم بأن فساد الدعاة قرينة علي فساد الدعوة وذلك علي حد تعبير أستاذنا العقاد وقد كان لرحلات كاتبنا في الدول العربية وبلدان أوروبا وأمريكا أكبر الأثر في توضيح رؤيته الفكرية وتحوله من النقيض إلي النقيض أي من الماركسية والشمولية إلي الليبرالية والديموقراطية والرأسمالية....

أما عن علاقاته لمعاصريه من الكتاب والأدباء فقد كان له صداقات مع كبار المثقفين الماركسيين في مصر قبل أن ينفض عنهم ويكشف زيفهم وفسادهم كما كان له علاقة بأستاذه "العقاد" وهذه العلاقة ذات بعدين أولهما العلاقة غير المباشرة عن طريق القراءة المتعمقة لكل ما كتب وثانيهما العلاقة المباشرة أي الاتصال الشخصي وكان ذلك عن طريق الشاعر العوضي الوكيل ويحدثنا كاتبنا عن زيارته للعقاد فيقول:

"في عام وفاة الأستاذ العقاد (١٩٦٤) كان كاتب هذه السطور في المدرسة الثانوية... صحبه الشاعر العوضي الوكيل ذات مرة لمنزل الأستاذ ومن حوله يومذاكاإبن شقيقه الأستاذ عامر العقاد... وعقب الزيارة الوحيدة دلف كاتب هذه السطور لدنيا الأستاذ الرحبة حيث صارت مطالعة كل مؤلفاته نحو مائة كتاب بما في ذلك ما نشر بعد وفاة الأستاذ مرات ومرات مدرسة قائمة بذاتها من مدارس المعرفة لا تضاهيها ولا تماثلها مدرسة سواه من جيل العمالقة..."

وهذا يجرنا إلي الحديث عن المفكرين الذين تأثر بهم طارق حجي وأوجه هذا التأثر... فقد أخذ عن العقاد المنطقية في النقاش والموسوعية في الثقافة والعقلانية والتحليل في الكتابة وكراهية الماركسية وإيمانه بالفرد... ففي الواقع أن فكرة المجموع أو الكل هي وهم يخلقه كل ديكتاتور وكل صاحب فكر شمولي ليسحق الإنسان كفرد مقابل تقديس كائن وهمي اسمه المجموع أو الكل لأن الموجود في الواقع هو س، ص من الناس كأفراد ومصلحة المجتمع ككل هي مصلحة س، ص وهذا ما يراه أصحاب "الفلسفة التحليلية" وهي أحدث الفلسفات الأوروبية المعاصرة...

ونري كاتبنا أيضاً شديد الإعجاب بأبن الرومي قديماً وببدر شاكر السياب حديثاً هذا عن الشعر، أما عن الفكر فنجد كاتبنا معجباً بالغزالي وربما كان سر ذلك هو منهج الشك أو الشك المنهجي أي الشك البناء الذي لا يهدف إلي مجرد الهدم وإنما يقصد الوصول إلي اليقين وهذا نفسه هو ما جعله متأثراً بفيلسوف فرنسا "ديكارت" الذي استطاع أن يهز كل المسلّمات ويشك في كل شيء ثم توصل بالشك المنهجي إلي اليقين الصحيح وهذا نفس ما فعله كاتبنا في كتابه "الأصنام الأربعة" حين جعلنا نكفر بالأصنام التي أوهمنا النظام الاشتراكي الفاشل بقدسيتها حتي أصبح المصريون يخشون حتي مجرد المساس بها...

وقد تأثر كاتبنا أيضاً بمفكر فرنسا "جان جاك روسو" وأخذ عنه أفكاره عن الحرية والفردية وهو نفس ما أخذه عن المفكر الأمريكي "هنري ثورو" كما تأثر كاتبنا بفلسفة التاريخ عند المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي" وفكرته عن الإستجابة والتحديات

كأساس لحركة التاريخ وتأثر كاتبنا أيضاً بشخصية محمد علي كأول باني لنهضة مصر الحديثة وشخصية رفاعة الطهطاوي أول مبعوث لفرنسا وأول رائد للفكر التنويري في مصر، ومثلما أنهي محمد علي العصور الوسطي بقضائه علي المماليك وفتحه أمام مصر لبوابة أوروبا وحضارتها الغربية، كذلك فتح رفاعة الطهطاوي أمام المصريين أبواب الثقافة الحديثة والفكر الغربي وقد أثمر كل ذلك ظهور جيل العمالقة وعلي رأسهم "لطفي السيد" الذي نعتبر كاتبنا امتداداً له فقد أخذ عنه فكرة المصرية كهوية وفكرة الديموقراطية...

بيئته المحلية:

في عام ١٩٥٠ ولد كاتبنا، أي في نهاية المرحلة الملكية في مصر والتي سادت فيها الرأسمالية والإقطاع وتعدد الأحزاب وسيطرة الإنجليز علي السياسة وعلي مقدرات الشعب وفساد بعض الأحزاب وممالأتها للسراي مما أفسد الجو الديموقراطي الذي كانت تنعم به مصر وكان العالم العربي كله في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات يرزح تحت نير الاحتلال الأجنبي مثل الاحتلال الإنجليزي في مصر والسودان وعدن والخليج والعراق والاحتلال الفرنسي في الشام والمغرب العربي ثم جاءت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ فأيقظت معها لدي المصريين والعرب روحاً من الحماس ضد الاستعمار ونسجت لهم حلم الحرية والوحدة العربية والقومية، ولكنها بعد ذلك في الستينات اتجهت نحو الاشتراكية والشمولية والديكتاتورية فألغت الأحزاب وكممت الأفواه وتحولت إلي دولة عسكرية يحكمها جهاز المخابرات وانتهي كل ذلك بثلاث هزائم عسكرية في حرب العدوان الثلاثي وعندئذ أفاقت مصر والعالم العربي علي الوهم الكبير الذي كانت تعيش فيه وسقط حلم الحرية والوحدة وأصيب الجميع بالإحباط الذي خفف منه بعض الشيء انتصار أكتوبر عام ١٩٧٣.. كما نجد أن أهم الأحداث التي شهدها العرب في حياة كاتبنا هي الحروب المتتالية مع إسرائيل ثم تمزق لبنان في الحرب الأهلية والتمزق العربي بوجه عام وقد أثرت كل

هذه الأحداث علي كاتبنا مما جعله حين يحلل مشاكل الحاضر في مصر يلتفت إلي جذورها منذ عصر الثورة المجيدة والقرارات الاشتراكية التي فرضها علينا عبد الناصر وجعل منها أصناماً يرهبها بعض المصريين حتي اليوم وما يزال لها كهنتها ممن يسمون أنفسهم بالناصرية والناصريين رغم سقوط الاشتراكية في بلادها الأصلية وثبوت فشلها في التطبيق...

طارق حجي وبيئته العالمية

أما عن الظروف العالمية التي عاصرها طارق حجي فقد ولد بعد الحرب العالمية الثانية وكان لهذه الحرب آثار شديدة خاصة في المجتمع الغربي وقبلها كان للحرب العالمية الأولي وللانقلاب الصناعي آثار أشد وطأه فقد تبع كل تلك الأحداث انهيار للعالم القديم أي المجتمع الزراعي بكل قيمه الإجتماعية والأخلاقية، وقد إنعكس ذلك في الأدب في روايات إرنست هيمنجواي وفوكنر التي تصور الجيل الضائع بعد الحرب العالمية الأولي، وفي رثاء "ت.س.إليوت" للمجتمع الغربي المعاصر الذي أغرقته المادية وضاعت فيه القيم الروحية حتي أطلق عليه "إليوت" إسم قصيدته الشهيرة "الأرض الخراب" التي يعتبرونها شهادة وفاة لأوروبا، بل نجده يسمي أهلها باسم قصيدته "الرجال المجوفون"... * بل أن سارتر نجده يسمي أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية باسم الرجل المريض تشبيهاً لها بتركيا في نهاية عهد السلطنة العثمانية وذلك في كتابه "ما الأدب"، بينما نجد قبل ذلك كاتباً وفيلسوفاً كبيراً مثل "شبنجلر" ينعي انهيار الحضارة الغربية في كتابه "سقوط الغرب"...

وقد ظهرت مجموعة من النظريات العلمية التي ساهمت في تقويض الأفكار القديمة المرتبطة بالمجتمع الزراعي وعلي رأسها النظرية النسبية عند "أينشتين" والتي هزت المطلقات القديمة

---

* The Modern Age. by G.H. Bantk.   P. 15

بإثباتها أن الزمان نسبي وأن المكان نسبي أيضاً، كما ظهرت في القرن العشرين أيضاً نظرية "التحليل النفسي" عند "فرويد" التي أكدت أهمية الجنس وبذلك هزت أخلاقيات العصر الفيكتوري المتزمتة... وفي مجال العلم أيضاً ظهر علم "السيبرنتيكا" كأساس للعقول الإلكترونية... أما في مجال الفلسفة فقد انتهي عهد الصروح الميتافيزيقية بعد هيجل وبرادلي، وشهد القرن العشرون الفلسفات التحليلية عند "برتراند رسل"، و"جورج مور" و"ويتجنشتين" الذين وجهوا صدمة للمجتمع القديم بمطلقاته الأخلاقية، فهم يرون أن الأحكام الأخلاقية بتحليلها لغوياً نجدها مجرد تعبير عن مشاعر ولا يمكن الحكم عليها بالصحة أو الخطأ... *
كما ظهرت أيضاً الفلسفة البراجماتية عند "وليم جيمس" و"جون ديوي" والتي تجعل من الفائدة العملية أساساً لصحة أو خطأ أي فكرة... كما شهد القرن العشرون ظهور الوجودية وخاصة وجودية "سارتر" عام ١٩٤٥ والتي تعكس الإحساس باليأس والقلق والغثيان في المجتمع الغربي...
أما من الناحية السياسية فقد شهد القرن العشرون ظهور غاندي في اسيا وتحرير الهند وباكستان وحركات التحرير في أفريقيا وإندحار الاستعمار وتقلص الامبراطورية البريطانية التي كانت لا تغرب عنها الشمس مما كان له أثر في نشأة حركة الساخطين في الأدب الانجليزي عند "جون أوسبورن" في مسرحيته: "أنظر وراءك في سخط".
كما شهد القرن العشرون ثورة روسيا عام ١٩١٧ وظهور هتلر وموسوليني والحركات الاشتراكية التي سقطت فيما بعد في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي... وقد ساد اليأس بعد الحرب العالمية الأولي والحرب الأهلية في أسبانيا والكساد الاقتصادي في الثلاثينات والإنهيار الأخلاقي والإنحلال الجنسي، ونشأت الرغبة في الإنفصال التام عن الماضي بكل قيمة... وفي هذا المناخ ظهرت موجات تحطم الشكل والقواعد الفنية وتفرق في الغموض مثل

The Modern Age by: G.H. Bantocle P. 24

حركات: "المودرنيزم" في الرواية عند" جيمس جويس" و"فوكنر" و"فرجينيا وولف" وما إبتدعوه من أسلوب تيار الوعي، ومثل السريالية والدادية في الفن التشكيلي عند "بيكاسو" و"ماكس إرنست" و"سلفادور دالي"، ومثل اللامعقول في المسرح عند "صمويل بيكيت" و"يوجين أونيسكو" و"أداموف"... ومثل اللارواية عند "آلاب روب جرييه" وعند "ناتالي ساروت"...

وكانت كل هذه الحركات بمثابة تأكيد للتعبير الفردي الحر كرد فعل ضد الديكتاتوريات الفاشية والنازية والماركسية التي تحاول صب الجميع في قالب واحد..

كانت هذه لمحة سريعة عن الأرضية الاجتماعية والسياسية والتاريخية والفكرية التي عاصرها كاتبنا طارق حجي وتأثر بها إما تأثراً مباشراً علي المستوي المحلي وإما تأثراً غير مباشر علي المستوي العالمي وذلك عن طريق رحلاته وقراءاته...

موقفه من الماركسية والماركسين

إن كل مؤلفات طارق حجي يجمعها خط بياني صاعد أي تجمعها وحدة فكرية وتطوراً منطقياً فهي ليست كتابات متفرقة وإنما يجمعها نسق فكري واحد فيه تدرج وتصاعد فهو لم يبدأ بالحديث عن مشاكل مصر وحلولها إنما كان هذا هو الحلقة الأخيرة من كتاباته التي مرت بثلاث مراحل متصلة لأنه قبل حل مشاكل مصر يجب أولاً تحديد المنطلقات الفكرية والمبادئ التي علي أساسها سيحدد المنظور لتشخيص وعلاج هذه المشاكل، ولما كان المنظور الفكري عند طارق حجي منظوراً ليبرالياً فقد كان لزاماً عليه أن يبرر لنا لماذا يرفض المنظور الآخر المناقض له وهو المنظور الماركسي ولذلك جاءت كتبه الثلاثة الأولي عن موقفه من الماركسية والماركسيين فهو لم يرفض الماركسية كما يرفضها الكثيرون لمجرد أنه ضد الدين وإنما لأنها مذهب خاطيء في النظرية والتطبيق وقد استلزم إثبات ذلك أن يقرأ كاتبنا كل ما كتب عن الماركسية في مراجعها الأصلية وليس في النشرات التي يحفظها أدعياء الماركسية في مصر والتي ترجمها السوفيت وباعوها بقروش قليلة في مكتبة دار الشرق حتي يبعدوا عنها حقيقة أنها مجرد نشرات دعائية وليست كتباً حقيقية... كما أن كاتبنا انخرط في شبابه مع الرفاق الماركسيين في مصر حتي عرف حقيقتهم السيكلوجية فوجدهم علي حد تعبير أستاذنا العقاد من ذوي العاهات النفسية والفساد الأخلاقي وهذا ما شرحه كاتبنا في "تجربتي مع الماركسية" إلي جانب نقده في هذا الكتاب للماركسية، وقد أفرد لذلك النقد كتابين من قبل هم "أفكار

ماركسية في الميزان" و"الشيوعية والأديان"...

قلنا إن كاتبنا كان ماركسياً ثم حدث له تحول وانقلاب فكري، ولم يحدث ذلك فجأة وإنما تطرق الشك إليه ثم بدأ يزداد بازدياد مطالعاته ورحلاته وتجاربه في الحياة وما تلقاه من صدمات كان أهمها صدمة النكسة وسقوط صورة عبد الناصر ونظامه الإشتراكي الشمولي، إلي جانب الصدمات التي تلقاها من الذين كانوا يقفون منه موقف المعلم والأستاذ وكان آخر هذه الصدمات عراكاً فكرياً بينه وبين أحدهم الذي دافع في جلسة فكرية عن حريق الأوبرا وقصر الجوهرة واعتبره عملاً ثورياً من وجهة نظره كماركسي ولكن كاتبنا هاجمه من منطلق وطني وانتهي العراك الفكري بعراك حقيقي وكان هذا بمثابة ذروة الصراع التراجيدي علي حد تعبير أرسطو حين يشرح لنا أصول الدراما وكيف يتحول البطل من السعادة إلي الشقاء عند نقطة التعرف علي الحقيقة مثلما حدث للبطل أوديب حين عرف حقيقة قتله لأبيه وزواجه من أمه فكانت نهايته المأساوية وسقوطه التراجيدي... ولكن الحال يختلف هنا مع كاتبنا طارق حجي لأن نقطة تعرفه علي حقيقة الماركسية كانت بدايته الفكرية وصعوده وتألقه وتحوله من الظلام إلي النور.... كما أن ابتعاده عن أدعياء الماركسية في مصر ورحلاته وخاصة رحلته إلي المغرب ورحلاته إلي أوروبا وأمريكا واتصالاته بالهاربين من جحيم روسيا وأوروبا الشرقية كل هذا عرفه بحقيقة الشيوعية وفشلها في التطبيق... كما أن صدمة تعرضه للهجوم من قبل الأدعياء الماركسيين ـ حين كان يحاول قراءة الفلسفات المعاصرة والفكر الإسلامي ـ جعلته يتمسك بموقفه الذي أدي إلي إكتشافه لبطلان الماركسية... هذا بالإضافة إلي الصدمة التي حدثت له حين اكتشف من أبحاثه الإقتصادية نكسة الاتحاد السوفيتي الاقتصادية خاصة في مجال الزراعة...

كما أن اطلاعاته الموسوعية جعلته يكتشف رفض عمالقة الفكر في القرن العشرين للماركسية وفي ذلك يقول:

"إن أعظم اقتصادي أنجبه القرن العشرون وهو لورد جون كينز هو القائل عن كتاب رأس المال إنه كتاب دراسي متبذل في الاقتصاد ليس خطأ من الناحية العلمية فقط وإنما لا أهمية له للعالم الحديث ولا يطبق فيه... وعلي مستوي الفكر التاريخي المعاصر نجد أن أكبر مؤرخي العصر "أرنولد توينبي" يرفض رفضاً كاملاً وباتاً النظرية الماركسية للتاريخ... وعلي مستوي الفكر العربي نجد أن أعظم عقل أنجبه الواقع العربي المعاصر وهو عملاق الأدب والفكر العربيين الأستاذ عباس محمود العقاد لا يرفض الماركسية بأسرها وأساسها الفلسفي وكذا كل نظرياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحسب بل وينفي عن المذهب الماركسي برمته صفة العلم ..." *

ونجد كاتبنا ينقل عن برتراند رسل قوله: (إن عناصر الفلسفة الماركسية كلها غير عملية وليس هناك أي سبب للاعتقاد بصحتها). **

وهكذا نجد أن دراسة كاتبنا المتعمقة للماركسية وخبرته الشخصية بالماركسيين هي ما جعلته يكتشف فسادهم وبطلان عقيدتهم وكذب نبوءات كارل ماركس... كما أن ميل كاتبنا إلي الحرية ورفضه للتمذهب والتقولب الفكري هو ما جعله رافضاً للماركسية وللماركسيين فتحول من النقيض إلي النقيض...

وإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن خميرة الشك وكيف نمت في داخل كاتبنا والحوار الدائر داخل عقله والذي أدي به إلي رفض الماركسية فإننا لابد أن نتصفح كتابه "أفكار ماركسية في الميزان" وكتابه "الشيوعية والأديان" ..
أما الكتاب الأول فيبحث أربع مسائل هي مسألة الدولة في الفكر الماركسي ومسألة التحول للاشتراكية ومسألة ديكتاتورية

---

* تجربتي مع الماركسية ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٢٧٦
** أفكار ماركسية في الميزان ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٥

البروليتاريا والمسألة القومية في الفكر الماركسي والمسألة الأوروشيوعية ويفند من خلال هذه المسائل أباطيل الفكر الماركسي....
أما عن مسألة الدولة فيري كارل ماركس أنها نظام مقترن بالاستغلال والطبقية وأنه لم تعرفه المجتمعات البدائية وأنه سيزول عند تطبيق الشيوعية ...
ويرد علي ذلك كاتبنا فيقول: "لو أن الاستغلال والطبقية وعدم المساواة قد إنتهت من الاتحاد السوفيتي فما علة بقاء نظام الدولة الآن في الاتحاد السوفيتي... برغم انتهاء التطويق الرأسمالي (كما أعلن خروتشوف وكما تعلن سياسة الوفاق الراهنة)... ويعني كل ذلك أن التنظير الماركسي لا أساس له من الصحة إذ يثبت بطلان التلازم والاقتران بين الاستغلال والطبقية وبين نظام الدولة..." *

أما المسألة الثانية فهي مسألة التحول للاشتراكية وفيها يري ماركس أن التحول للاشتراكية سيتم في الدول الرأسمالية نتيجة لثورة البروليتاريا وتنبأ بأن ذلك سيحدث في إنجلترا وألمانيا ويرد كاتبنا علي ذلك بأن نبوءات ماركس كاذبة لأن التحول للاشتراكية حدث في روسيا وهي الدولة الزراعية المتخلفة والتي كانت ما تزال علي أبواب الرأسمالية كما أن التحول للاشتراكية في دول أوروبا الشرقية جاء نتيجة الضغط العسكري السوفيتي أما التحول للاشتراكية في دول أفريقيا فهي دول متخلفة لم تعرف النظام الرأسمالي أصلاً بل لم تعرف مراحل تطور النظام الإقتصادي الذي شرحه ماركس ويعلق كاتبنا علي ذلك بقوله: "فما بال كل التحولات الإشتراكية حتي الآن وبلا استثناء تأخذ طريق الاستثناء لا الأصل وذلك بأن تحدث في مجتمعات أبعد ما تكون عن التقدم الصناعي... إن هذا معناه أن أهم نظريات كارل ماركس قد ثبت بطلانها وخطؤها" *

---

* أفكار ماركسية في الميزان ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٥١
* *أفكار ماركسية في الميزان ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٨٥

أما مسألة دكتاتورية البروليتاريا فيقول ماركس بأن طبقة العمال في صراعها ضد الرأسمالية ستتولي الحكم بثورة لتصفية الطبقات ومن ثم لا يصبح هناك طبقات ولا قانون ولا دولة وهذا كله محض خيال ساذج يسميه ماركس باسم "الشيوعية العليا" كما أن أحوال العمال قد تحسنت الآن بحيث لم يعد هناك إطلاقاً ما عرفه ماركس عن البلوريتاريا الكادحة المسكينة ولذلك تخلت الأحزاب الشيوعية الأوروبية عن فكرة ديكتاتورية البلوريتاريا نظراً لتراثها العريق في الحرية والديموقراطية وكذلك فإن الملحوظ تاريخياً هو أن التحول للاشتراكية في كل دول العالم ومنها روسيا لم يحدث أبداً نتيجة لثورة بلوريتارياوإنما قام به المثقفون والحزب من أبناء الطبقة الوسطي كما أن ديكتاتورية البلوريتاريا هي ديكتاتورية ضد البلوريتاريا بدليل الامتيازات التي حصل عليها رجال السلطة في الاتحاد السوفيتي علي حساب الشعب المسكين كما أن نظام ديكتاتورية البلوريتاريا قد سبب نكسه اقتصادية للاتحاد السوفيتي إنتهت بأن راح جورباتشوف يمد يده لأوروبا وأمريكا ويتسول حتي لا يموت شعبه جوعاً.... وهذا ما تنبأ به كاتبنا طارق حجي...

أما المسألة القومية في الفكر الماركسي فإن كارل ماركس ضد الوطنية وضد القومية لأنه يري أن العمال لا يربطهم أي رابطة سوي الولاء للشيوعيه كمذهب وقد أثبتت الأيام بطلان ذلك بدليل ثورة القوميات الآن في الاتحاد السوفيتي وظهور النعرات العرقية والرغبة في الانفصال مثلما حدث في جمهوريات البلطيق لتوانيا وأستونيا ولاتفيا وغيرها مما تنبأ به كاتبنا...

أما مسألة الأورو شيوعية أي الشيوعية الأوروبية ففيها يوضح كاتبنا أن هناك هوة كبيرة بين الشيوعية في الاتحاد السوفيتي والشيوعية في أوروبا يلخصها في ستة نقاط تميز تيار الأورو شيوعية وهي:

١ ـ العدول عن التصورالماركسي للنظام السياسي الاشتراكي أي العدول عن ديكتاتورية البلوريتاريا .

٢ ـ العدول عن التصور الماركسي لطريقة وصول الماركسيين للسلطة...
٣ ـ العدول عن الدعوة الماركسية للقضاء علي الملكية الخاصة بل والدعوة للتعايش بين الملكية العامة والملكية الخاصة..
٤ ـ التمسك بالديموقراطية وبالحريات العامة للكافة والتمسك بتعدد الأحزاب السياسية..
٥ ـ الدعوة لاستقلال الأحزاب الشيوعية عن الاتحاد السوفيتي والعدول عن الإقتداء بالنموذج السوفيتي في تحقيق الاشتراكية بل ونقد العديد من جوانب التجربة السوفيتية...
٦ ـ عدم التمسك بالمفهوم الماركسي التقليدي للبروليتاريا...

وهكذا فند كاتبنا أباطيل الماركسية ومزاعمها وكيف أنها عارية من الحقيقة وخالية من العلمية التي تدعيها وفاشلة في التطبيق.. فما هو إذا سر انتشارها في الدول المتخلفة؟ السبب هو أن الماركسية مثل الكوليرا والتيفود والأوبئة المرضية لا تنتشر إلا في الأماكن القذرة...

الحرية والديموقراطية والرأسمالية والمشروع القومي

بعد أن رفض طارق حجي الماركسية اتجه إلي الليبرالية بما فيها من حرية وديموقراطية ورأسمالية وذلك كمنطلق فكري وكمنظور سياسي واقتصادي يستخدمه في تشخيص مشكلة مصر وحلها من خلال المشروع القومي الذي يقدمه لنا في كتبه التي ظهرت في المرحلة الثانية من كتاباته ومؤلفاته...

وهو يبدأ كلامه بالتنظير السياسي لمفهوم الديموقراطية مفهوماً تطبيقياً فيقول:
"إذا جاز لنا أن نقتبس من علم أصول الفقه التفرقه بين الركن والشرط وهي التفرقة التي تقول بأن الركن هو مالا يقوم الشيء بدونه أما الشرط فأمر لازم للصحة والاكتمال لا القيام أو الوجود، لقلنا أن ركن الديموقراطية هو التعددية السياسية أما شرطاها فهما أولاً الحرية الكاملة للتعبير عن الآراء والمعتقدات والمفاهيم من غير أعضاء جهاز الحكم في التأثير علي الواقع وبالذات علي قرارات وإتجاهات جهاز الحكم"... *

ومن هذا المنطلق يشكل طارق حجي مشاكل مصر بأنها محدودة وليست متعددة كما يبدو في ظاهرها، ،إن ما نلاحظه في حياتنا اليومية من آلاف المشاكل في الشارع المصري وفي البيت المصري كل هذا ما هو إلا مجرد أعراض متعددة لمرض واحد هو ميراث ضعف الديموقراطية والاقتصاد الموجه الذي خلق للدولة في مصر وظائف ليست من مهام الدولة لأنه من المعروف أن وظائف الدولة تنحصر في الدفاع الخارجي والأمن الداخلي والقضاء والمرافق، لأن الأفراد لا يميلون إلي استثمار أموالهم في المرافق العامة إذ إنها لا

---

* ما العمل؟ ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٢٢

تدر عائداً سريعاً، بينما التجارة والصناعة والزراعة أساس نجاحها هو الدافع الفردي ولذلك لا تنجح إلا من خلال المشروع الخاص أما أن تتدخل الدولة في ذلك وتتحول إلي بقال فهذا ما جر علينا ويلات وخسائر القطاع العام وما تبعه من الدعم. ولذلك فإن الحل عند طارق حجي يشمل شقين هما الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي أما الإصلاح السياسي كما عرضه في كتابه "ما العمل؟" وغيره من كتاباته فيشمل إكتساب المعارضة المتزنة المعتدلة لأرض إضافية وحتمة تعديل الدستور الحالي والذي وضع في ظل مناخ شمولي وذلك بتعديل النص الخاص باختيار رئيس الدولة بأن يكون عن طريق الانتخاب المباشر لا عن طريق الاستفتاء الشعبي علي رجل واحد يرشحه مجلس الشعب، كذلك يجب أن تكون مدة الرئاسة لشخص واحد بحد أقصي لا يتجاوز عشر سنوات (خمس سنوات يمكن تجديدها مرة واحدة فقط) كذلك يجب من أجل الإصلاح الفوري إلغاء جميع الأجهزة التي نشأت ونمت في ظل العهد الشمولي مثل جهاز المدعي الاشتراكي ومحكمة القيم وجهاز الرقابة الإدارية لأن النيابة العمومية هي الجهاز الوحيد في النظم الديموقراطية الذي يناط به تمثيل المجتمع كسلطة اتهام في كل ما من شأنه أن يشكل عدواناً علي حق من حقوق الأفراد والمجتمع أما وجود مثل هذه الأجهزة فيشكل عدوانا علي مبدأ استقلال القضاء الذي هو أساس الشرعية والحريات العامة.... كذلك يجب عدم وصول شخص لرئاسة مجلس الشعب دون أن يكون منتخباً من الشعب لعضوية هذا المجلس... كما يجب عدم هيمنة الحكومة علي الصحف المسماة بالقومية حتي يتحقق اكتمال الديموقراطية، ولنأخذ مثالاً لذلك هيئة الإذاعة البريطانية، فإن الصحافة إذا كانت هي عين وعقل الأمة فإنها يجب أن تستقل عن الحكومة... كما يجب أن نتحول من نمط الوزراء الفنيين إلي نمط الوزراء السياسيين فإن الوزير في الدول الشمولية هو مجرد موظف كبير... كما يجب أن نوقف خداع الجماهير بمعسول الكلام الذي كان يستعمله عبد الناصر والسادات وألا ننفخ في الناس بالاشادة بالماضي الفرعوني المجيد لأن في ذلك إدانة لنا إذ كيف يبني أجدادنا أعظم الأبنية بينما نحن نبني العمارات التي تنهار ثم إن تاريخنا الفرعوني عمره خمسة آلالف سنة فقط لا سبعة آلاف كما كان يكرر السادات...

كما يجب الوقوف بحزم أمام القطاع العام الخاسر والزراعة المتخلفة التي جعلتنا نستورد ٦٠٪ من طعام شعبنا والقوانين الخاطئة للعلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال مع الأخذ بنظم الديموقراطيات الغربية في التأمينات الاجتماعية والمعاشات والتعويضات للبطالة والتأمين الصحي وذلك كي نعطي للعاملين أجوراً حقيقية في مقابل إنتاج حقيقي مزدهر بدلاً من البطالة المقنعة الآن حيث العمل غير حقيقي وحيث الأجور وهمية لا تفي بمتطلبات الحياة...

ويري طارق حجي أنه لابد من النقد الذاتي ولابد من الاعتراف بسوء الواقع وحتمية التغيير الجذري ويؤكد أن الحرية والديموقراطية هي المطلب الأول قبل مطلب الإصلاح الاقتصادي...

وفي ذلك يقول كاتبنا إن فشل الاقتصاد المصري يرجع للخيارات الاشتراكية مثل القطاع العام والحد المنخفض للملكية الزراعية وتدخل الدولة في كافة أوجه الإنتاج والتشريعات العمالية الاشتراكية التي أدت إلي الكسل والبيروقراطية ومحاولة الدولة خلق سعر صرف وتحويل مصطنع للعملات الحرة مثل القرارات الطائشة للدكتور مصطفي السعيد هذا إلي جانب مشكلة الإسكان التي بدأت بتدخل الزعيم الخالد لتخفيض الإيجارات فكانت النتيجة أن أحجم الناس عن استثمار أموالهم في بناء المساكن مما جعل المطلب يزيد كثيراً عن العرض فنشأت مشكلة الخلو كي يعوض صاحب العمارة، ثم انتهي الأمر بعدم التأجير والاعتماد علي التمليك فقط، وهكذا أصبح الشباب ضائعاً لا يجد مسكناً، ومن المتناقضات المضحكة أن يكون هناك في وسط القاهرة محلاً قديماً كبيراً إيجاره الشهري بضعة جنيهات بينما هو يكسب في اليوم مئات أو آلاف الجنيهات فهل هذا هو العدل ومن هو في هذه الحالة المستغل والمستغل بكسر الغين مرة وفتحها في الثانية أهو صاحب العمارة أم مستأجر المحل القديم في العمارات التي تملأ شوارع فؤاد وسليمان باشا وقصر النيل...
الخلاصة التي لم يكن يتوقعها الزعيم الخالد رغم حسن نواياه هي أن المستأجر الآن هو الضحية الكبري لسياسة إسكانية فاشلة...

ويري طارق حجي حلاً لهذة المشكلة زيادة إيجارات المساكن والمحلات التي تستعمل لأغراض تجارية أما مشكلة التعليم فقد انتهت إلي كارثة لأنه رغم رفع شعار المجانية أصبح التعليم يتكلف آلاف وأصبح حال المدرس سيئاً والحل عند كاتبنا هو إلغاء مجانية التعليم لغير المتفوقين ولغير الفقراء لأنه ليس من المنطق أن تنفق الدولة علي أبناء الأثرياء أو علي الأغبياء، وليس من الضروري أن من يركب قطار التعليم من أول محطة يجب أن يركبه حتي آخر محطة خصوصاً وأن الدولة ليست بحاجة إلي آلاف الخريجين الذين أصبحوا يعانون من البطالة... لذلك يجب التوسع في التعليم الفني وإنشاء الجامعات الأهلية (الخاصة)...
ويري كاتبنا أن أي حل لابد أن يصحبه إذكاء للشعور الوطني بالواجب وأن هذا لا يتم إلا عن طريق القدوة من ناحية الحكومة وعن طريق وسائل الإعلام والتعليم والمسجد والكنيسة والأدب والفن كي يتحقق للمواطن المصري الشعور بالانتماء.

ويحدثنا طارق حجي عن مصادر الدخل في مصر وعلاقتها بالمشكلة الاقتصادية وكيف أن مصادر الدخل الأساسية اليوم هي أربعة مصادر أولها تحويلات المصريين العاملين بالخارج وثانيها البترول وثالثها قناة السويس ورابعها السياحة وإلي جانب هذه المصادر توجد مصادر ليس لها شأن كبير بمعيار الأرقام مثل الصناعة والزراعة...

ويقول كاتبنا إن المشكلة الكبري لاقتصاد مصر إنما ترتبط بهذه المصادر فمن جهة أولي: فإن عدم وجود أدلة ملموسة لنمو الدخل المتولد عن المصادر الأربعة من جهة بل واتجاه الدخل المتولد عن هذه المصادر للانخفاض إلي جانب عدم وجود إطار يسمح بخلق موارد إضافية كبري جديدة... في اعتقادنا أن هذا هو مربط الفرس كما يقال عند النظر لمشكلة اقتصاد مصر اليوم... *

طارق حجي ـ ما العمل؟ ـ صفحة رقم ٩١

ويحدثنا عن تحويلات المصريين العاملين بالخارج فيقول إن القيود التي وضعتها الحكومات المصرية المتعاقبة كان من شأنها ألا يستفيد اقتصاد مصر إلا من جزء بسيط لا يتجاوز الثلث من حجم مدخرات المصريين بالخارج بل إن فرص العمل أمام المصريين بالخارج أخذت في التراجع والانحسار كما كان لقوانين الخامس من يناير أسوأ الأثر إلي جانب الأثر السيء لمضاعفة رسوم استخراج أذون العمل بالنسبة للمصريين العاملين بالخارج ويري كاتبنا أنه لا يزال من المجدي أن تتخذ الحكومة قراراً بتطبيق أسعار السوق الحرة علي تحويلات المصريين العاملين بالخارج حتي يتسني لهذا المصدر أن يستمر قائماً بين مصادر الدخل الكبري لاقتصاد مصر وحتي يتسني عن طريق ذلك تعويض الانحسار الملموس في حجم العمالة المصرية بالخارج.... *

ثم يحدثنا عن البترول فيقول بأنه القطاع الوحيد وسط مأساة القطاع العام المصري الذي يعمل إلي حد بعيد وفق قواعد الاقتصاد العالمي الحر كما أنه أحد المرافق القليلة للغاية في دنيا القطاع العام المصري والتي تحقق أرباحاً عملاقة لكونه يدار وفق قواعد السوق الحرة... وكل ما يطلب هنا هو مزيد من الحرية لهذا القطاع وأن ترفع عنه يد غير المتخصصين من الحكوميين وأساتذة الجامعات والإداريين العسكريين...ويحدثنا عن قناة السويس وكيف أن دخلها قد تعرض لسلسلة من المتاعب التي نجمت أساساً عن قرارات اقتصادية خاطئة...

ثم يحدثنا كاتبنا عن السياحة فيقول إن مصر يوجد بها ربع آثار العالم ومع ذلك فإن عقلية كبار موظفي القطاع العام الذين يديرون السياحة قد حرمت مصر من مليارات من العملات الحرة ولو أننا سمحنا للخبرة العالمية وللقطاع الخاص بإدارة السياحة بعقلية تجارية حرة لضاعفنا دخلنا من السياحة بدلاً من المزج بين المشاعر الوطنية والتفكير الإقتصادي التجاري فهذا وصمة كبري في تاريخ تفكيرنا السياسي أما عن الحل الذي يراه كاتبنا لمشكلتنا الإقتصادية فهو إخراجها من براثن عقلية القطاع العام السقيمة وغير القادرة علي تحقيق أي نجاح لوجود جرثومة الفشل والإخفاق

طارق حجي ـ ما العمل؟ ـ صفحة رقم ٩٢

في جذورها وهذا هو الوجه الأول للإصلاح أما الوجه الثاني فهو ضرورة تحويل المصادر الأخري مثل الصناعة والزراعة والتجارة إلي مصادر عملاقة لذلك يجب تصفية كل المؤسسات والشركات التي تحقق خسارة ويجب أن نعلم أن المبادرة الفردية هي الجديرة وحدها بإخراج الصناعة المصرية من ظلال الفشل لدوائر النجاح، فالمبادرة الفردية هي وحدها العامل الذي يقف وراء كل نجاح اقتصادي بمقياس الربحية..."*

ويحدثنا كاتبنا عن الزراعة فيقول إن مصر كانت مكتفية كلية غذائياً حتي عام ١٩٥٢ ثم بدأ الفشل في الزراعة بالعلاقة الشاذة التي أقامتها ثورة يوليو بين المالك والمستأجر وكذلك بالتدخل من جانب الدولة في الزراعة فجعلت الفلاح لا يزرع ما يريد ولا يجني ثمرة ما يربح وإنما تجمع الدولة المحصول وتعطيه الفتات مما جعل الفلاحين يهجرون الأرض ويسافرون للدول العربية لأن الزراعة هي أشد مجالات الإنتاج التصاقاً بجوهر الملكية الخاصة والمبادرة الفردية والحل عند كاتبنا هو تحرير العلاقة بين الملاك والمستأجرين من القيود التي فرضتها الدولة قسراً ورفع الدولة يدها عن السياسة الزراعية وإلغاؤها نظام التسليم الجبري لبعض المنتجات الزراعية أو فرضها زراعة محاصيل معينة ولتكن لنا في جميع تجاربنا منذ الثورة وفي جميع تجارب أوروبا الشرقية وتجارب الاتحاد السوفيتي الزراعية والفاشلة كلها عبرة إذا كنا نريد الاعتبار.

أما التجارة فيري كاتبنا أن علاجها هو التحرر أيضاً من عقلية القطاع العام الخاسرة وتحقيق مناخ تجاري مستقر لا تعكره التشريعات النقدية والضرائبية والجمركية المرتجلة والعشوائية والمتناوبة وتحقيق حركة تجارية مزدهرة مثل تحويل كل منطقة قناة السويس إلي منطقة عالمية حرة...

ويري كاتبنا أن مشكلة اقتصادنا ومشكلة القطاع العام هي مشكلة إدارة وقد خصص لهذا الموضوع كتاباً خاصاً هو "الإدارة والمجتمع" وفيه يحدد لنا مفهوم الإدارة الناجحة بمعيار الربحية ويحدثنا عن معوقات الإدارة في مصر وعناصر أو مكونات الإدارة الناجحة..

ما العمل ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٩٧

أما معوقات الإدارة في مصر فهي متعددة منها وجود شعور قوي بالحقوق لا بالواجبات واعتبار الوظيفة حق اجتماعي وضعف الانتماء للعمل وإعاقة الحياة الاجتماعية لقيم العمل وعدم نضج مفهوم حق الإدارة وأصحاب الأعمال، وضعف مستوي التعليم العام والفني وضعف مستوي الحرفيين وانعدام روح المنافسة وعدم معرفتنا في مصر للمديرين التنفيذين وإنما نعرف فقط موظفين عموميين، هذا إلي جانب ضعف التدريب المهني وأوتوقراطية وتسلط المدير المصري... كما أنه من معوقات الإدارة أيضاً شيوع مفاهيم خاطئة عن الترقية والرئاسة وربطها بالسن والأقدمية والخلط بين الأداء والقدرة فإن كفاءة موظف في أداء عمله الحالي لا يعني أهليته للترقي إلي مناصب أعلي لأن الكفاءة شيء والقدرة شيء آخر لأن القدرة تتعلق بإمكانياته المستقبلية ومواهبه المتعلقة بالإدارة..

كما أنه من معوقات الإدارة في بلدنا الخلط بين العوامل الشخصية والعوامل الموضوعية وضعف النظام االإداري لعدم الالتزام بالنظام وعدم التشبع بقيم الصناعة الحديثة أي قيمة الوقت وقيمة الإتقان وقيمة الانتاجية.... وهذه كلها هي عيوب القطاع العام أما القطاع الخاص فيتحقق له عناصر ومكونات الإدارة الناجحة ويقصد كاتبنا بذلك القدرة علي القيادة والرؤية والابتكار والخلق والحس التجاري واستيعاب وقبول وتطبيق مفهوم التفويض بحيث لا تتركز السلطات والمسئوليات في يد واحدة هي يد المدير العام وإنما يستطيع من هم تحته أن يديروا دولاب العمل وأن يتحركوا بحرية... كما تشمل عناصر الإدارة الناجحة أيضاً القدرة علي إثارة حماس العاملين والقدرة علي خلق مشاركين مؤمنين لا أتباع والقدرة علي التأثير والقدرة علي تحقيق المعادلة الصعبة بين التوسع الرأسي والأفقي في المعرفة بالعمل والقدرة علي تعليم الآخرين...

وهكذا يري طارق حجي أن مشكلتنا الاقتصادية هي مشكلة إدارة وليست مشكلة فقر أو نقص في الثروة ولتوضيح ذلك نقول إن عناصر الإنتاج أربعة هي: الأرض (الموارد الطبيعية) والقوي العاملة ورأس المال والإدارة... ومصر لا تنقصها الموارد الطبيعية

للثروات ولا ينقصها الأيدي العاملة فهي زائدة ولكنها مشلولة ولا ينقصها رأس المال ففيها من يملكون المليارات ولكن ينقصها العامل الرابع الذي ينسق بين العوامل الثلاثة وهو عامل الإدارة...

ولكن ينبهنا طارق حجي إلي نقطة هامة وهي المعادلة الصعبة بين التغيير والاستقرار ويشرح لنا ذلك فيقول "إن التغيير لابد وأن يراعي مقتضيات الأمن والاستقرار بشقه السياسي وشقه الاجتماعي وقد تضافرت مجموعة من الأحداث الجسام لتضفي علي هذه المسألة حساسية خاصة فإن أحداث ١٨ و١٩ يناير سنة ١٩٧٧ وأحداث المنصة الرهيبة وأحداث فبراير سنة ١٩٨٦ كل ذلك زاد من حساسية المعادلة الصعبة بين ضرورة التغيير وضرورة عدم الإخلال بمقتضيات الأمن والاستقرار سياسياً وإجتماعياً"... *

والملاحظ أن المعارضة تنحاز لجانب التغيير بينما إدارة الحكم تولي اهتماماً أكبر لجانب الاستقرار، والملاحظ أيضاً أن يد المعارضة في الماء لا في النار وأنها تبحر في العموميات وترفع كل ذي بريق من الشعارات كما أنها ذات صلة بالشمولية أو الفاشية أو الثيوقراطية باستثناء حزب الوفد وعموماً فإن المعارضة تدعو للتغيير دون أي اكتراث بعواقبه علي استمرار الاستقرار...

ولكن من جهة أخري هل ستحمد عواقب الانتظار وتأجيل القرار فمثلاً مشكلة كمشكلة وضع جنود الأمن المركزي التي كانت الشرارة التي أشعلت نيران أحداث فبراير ١٩٨٦ المؤسفة والتي كانت بعد ذلك مرتعاً لأعداء الاستقرار وفلول الغوغاء فلو أن قراراً صائباً إتخذ حيال مشكلة الظروف المعيشية المتردية لهؤلاء الجنود ولم يكن القرار هو الإرجاء والتأجيل لما اشتعلت تلك الشرارة الأولي التي ألهبت الموقف بأسره بعد ذلك... أي أن تأجيل اتخاذ القرارات الكبري تجاه بعض المشاكل العويصة قد يحمل في طياته من عوامل الفوضي وإهدار الاستقرار أضعاف ما قد يوفره علي المدي القصير من هدوء واستمرار... وإن الصعوبة الكبري لا تكمن في الميل إلي جانب التغيير ولا إلي الانحياز لجانب الاستقرار وإنما في إدراك أن كلا من العاملين (التغيير إلي الأفضل) و(الحفاظ علي مقتضيات الأمن) هو بيت القصيد..." *

---

* الأصنام الأربعة ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٢٤

* *الأصنام الأربعة ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٣٤

ونجد كاتبنا يحلل لنا أسباب تدهور التعليم في مصر ويضع الحلول لهذه المشكلة فيقول إن أسبابها هي إخضاع التعليم العام والجامعي للسياسة وتدهور مستوي المدرس وذلك كجزء من تدهور الوظيفة العامة في النظام الاشتراكي وهنا يربط طارق حجي بين مشكلة التعليم والمشكلة الاقتصادية والسياسية إذ أن النظام الشمولي في الستينات والقطاع العام قد خنق المواهب العقلية وخنق حرية الفكر أي قضي علي أساس العملية التعليمية وحولها إلي وسيلة لتفريخ موظفين وكتبة لإدارة القطاع العام أي أن تدهور التعليم جاء ملازماً لتدهور الثقافة بسبب خضوعها للسياسة كما أنه من أسباب هذه المشكلة ما حدث من توسع في التعليم فأصبحت لدينا زيادة هائلة في خريجي الكليات النظرية بينما هناك نقص حاد في العمالة الفنية... ويري كاتبنا أن تدهور التعليم كان بسبب القهر الفكري وانعدام الحرية وبسبب تدهور القطاع الخاص وأثبت ذلك بمقارنة أحوالنا التعليمية بما يحدث في الدول الاشتراكية من تخلف وما يحدث في الدول الغربية من تقدم ثقافي وتعليمي...

كما يري كاتبنا أن من أهم أسباب تدهور التعليم انهيار فكرة الأستاذية العظيمة وتحولها إلي شكل من أشكال الوظيفة ومن هنا يري كاتبنا أن إصلاح التعليم يجب أن يتسم بالشمولية والرغبة في التغيير الجذري لا الترميم الجزئي وذلك بتحرير التعليم من التبعية للسياسة ومحو الأمية وإصلاح وضع الأستاذ وترشيد مجانية التعليم لأن هناك علاقة لا تنكر بين الكيف والكم وما لم يضبط الكم لاسيما الكم المجاني فمن المستحيل تصور إحداث إصلاح ملموس في مستوي الكيف التعليمي.. *

ويري كاتبنا أن مشكلة مصر ليست هي الفقر كما يظن الكثيرون وإنما هي نقص العمل.. فمشكلة المصريين هي الفصل بين القول والعمل فالقول عندنا أكبر من فيل والعمل أصغر من منديل فهل يمكن أن نضع الفيل في المنديل؟ إن ذلك يحتاج إلي سحر أو معجزة...

---

* الأصنام الأربعة ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٨١

إننا نعيش في عالم من الشعارات والأقوال عالم لا يعوزه شيء غير العمل... لذلك يجب تحطيم إطار الفشل الموروث عن ثلاثين سنة من الإخفاق وهو الإطار الذي في ظله فقد المصريون فن العمل، بدلاً من السياسات الحالية القائمة علي الاقتصاد من هذا البند وضغط بعض نواحي الإنفاق في ذاك والتشدد في جني الضرائب والرسوم الجمركية وكل ذلك يندرج عندنا تحت باب اللا عمل فكلها إجراءات تشبه قيام رجل فقير معدم لا يملك إلا عشرين جنيهاً بإعادة توزيعها علي جيوب ثوبه، وهو في النهاية لا يزداد إلا فقراً لأنه لا يعمل علي خلق المال والثروة والقيمة عن الطريق الوحيد لذلك وهو العمل الخلاق والفعال والمنتج... *

ويحلل لنا طارق حجي ظاهرة التطرف الديني في مصر فيرجعها إلي ثلاثة أسباب هي القهر الناصري والأزمة الاقتصادية والعامل الخارجي ويقصد به رياح إيران والتشجيع الأجنبي.. ويري كاتبنا أن القوي المفسدة للمجتمع المصري هي الغوغائية والثيوقراطية والمخدرات...

وخلاصة القول هي أنه إذا كان طارق حجي يردد بإلحاح في كل كتاباته سؤالاً واحداً هو ما العمل؟ فإن الإجابة الوحيدة لديه هي العمل...

ويري كاتبنا أنه إذا قام شخص بخلط بعض الخيوط حتي كونت عقداً فإن الحل ببساطة هو فك هذه العقد وكذلك يري أن سبب مشكلة مصر هو فقدان الحرية والديموقراطية وهو النظام الاشتراكي ولذلك فإن الحل عند طارق حجي هو المزيد من الحرية والديموقراطية والتخلي عن النظام الاشتراكي الفاشل... وهذا هو ما سأوضحه في مشروعه القومي لعلاج مشكلات مصر...

---

* الأصنام الأربعة ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٩٢

طارق حجي الأديب

سندرس هنا أسلوب طارق حجي في ضوء فلسفة البلاغة العربية ولنبدأ بهذا السؤال: لماذا نؤكد أن طارق حجي أديب؟

هناك ثلاثة أسباب تدعونا إلي ذلك... أما السبب الأول فهو أنه يخطئ من يقصر مفهوم الأدب علي الجانب الإبداعي مثل القصة والمسرح والشعر وذلك لأنه بذلك يخرج من دائرة الأدب كتابات هامة مثل كتابات الجاحظ وأبو حيان التوحيدي ونثريات أبي العلاء المعري ورسائل ابن زيدون وغير ذلك كثير من عيون الأدب وبهذا المفهوم فإننا ندخل كتابات طارق حجي في باب الأدب ونعتبره أديباً...

أما السبب الثاني فهو أنه إذا اعتبرنا النقد عملاً إبداعياً فإن لكاتبنا كتابات نقدية قيمة تستحق الدراسة والتقدير مثل كتاباته عن العقاد وعن نجيب محفوظ وذلك في كتابه "ثالوث الدمار" وكتابه "الأصنام الأربعة"، ومثل تعليقاته وملاحظاته علي الشعراء والأدباء العرب المعاصرين والتي أوردها في كتابه "تجربتي مع الماركسية" فكلها تشهد له بالدراية الواسعة بالمذاهب الأدبية ومناهج النقد الأدبي، وقدرته علي تحليل العمل الأدبي وإصدار الأحكام النقدية الموضوعية المنهجية... والنقد عند كاتبنا ليس عملية ذاتية تعتمد علي التذوق الفني للعمل الأدبي من الداخل باعتباره بناء دراميا له طبيعته الخاصة كما تربط العمل الأدبي بسيكلوجية صاحبه وبيئته باعتباره إنعكاساً لنفسية الكاتب ورؤية لواقعه الخارجي وهكذا نجد أنفسنا أمام ناقد مقتدر توفرت له كل أسباب النجاح بحيث أنه لو لم ينشغل بهموم بلده السياسية والاقتصادية وأفسح من وقته وجهده لدراسات نقدية مطولة لأصدر لنا كتباً نقدية هامة في تاريخ أدبنا العربي لأنه يملك الإمكانات التي تؤهله لذلك...

أما السبب الثالث فهو أسلوبه اللغوي البديع الذي نعتبره امتداداً لطه حسين ومن قبله عبد الحميد الكاتب وسنوضح العلاقة بينه

وبينهما فيما بعد فإن اللغة العربية هي اللغة الشاعرة وهذا ما يؤكده أستاذنا العقاد في كتاب له بهذا العنوان صدر في مطلع الستينات في سلسلة المكتبة الثقافية.

وكما نعتقد بأن الدراما بطبيعتها شاعرية لأنها في أصل نشأتها كانت تكتب بالشعر في عهد "سوفوكليس" و"إسخيلوس" و"يوربيدس" وأن الدراما الجيدةظلت متحفظة بالشاعرية حتي لو كتبت بعد ذلك بالنثر فإننا نعتقد أيضاً بأن اللغة العربية شاعرية بطبيعتها لأنها في أصل نشأتها وفي مرحلتها الأولي كانت لغة شعر، حتي أن الذاكرة العربية ذاكرة شعرية وهذا يفسر انتشار رواة الشعر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام... فالعرب عرفوا الشعر أولاً ولم يعرفوا النثر إلا موخراً وذلك باستثناء بعض الحكم والأمثال والنصائح والخطب القصيرة... بل إن القرآن الكريم كان هو أول نص نثري طويل عرفه العرب ولذلك اختلط عليهم الأمر فظنوه شعراً مثل معلقاتهم المشهورة في الجاهلية وظنوا النبي شاعراً وقد رد القرآن الكريم علي ذلك ونفاه مثلما في قوله تعالي: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين"....*

وقد يكون للعرب عذر في ظنهم أن القرآن شعر وذلك لأن آيات القرآن تحمل قدراً كبيراً من الشاعرية تتجلي في موسيقاها الخارجية والداخلية وفي صورها البلاغية...

وتفسير ذلك هو أن اللغة العربية شاعرية بطبيعتها فأنت حينما تكتب باللغة العربية نجد الكلمات تتراقص بإيقاعاتها الموسيقية وتحلق بك بخيالاتها التصويرية، فالشاعر العربي القديم حين يقول مثلاً عن حبيبته أنها غصن بان علي كثيب فإن هذه الصورة يصعب ترجمتها إلي الإنجليزية ويصعب علي الشخص الانجليزي فهم مثل هذه الإستعارات والكنايات لأنها غريبة عن لغته وهذا المثال بالذات قد أورده أستاذنا العقاد في كتابه هذا... ويقول ت.س.إليوت في كتابه "مقالات مختاره" إن العمل الأدبي الجيد هو الذي تظهر فيه رائحة الآباء والأجداد... فالتقاليد الأدبية التي يرثها الأديب هي

---

* سورة ياسين ـ آية رقم ٦٩

التي تجعل له صفة الأصالة وتجعل للغة خصائصها التعبيرية المميزة وفلسفتها البلاغية العامة التي تمتد عبر الأجيال... *
وأديبنا طارق حجي نشم في أسلوبه التعبيري رائحة طه حسين، وطه حسين نفسه نشم فيه رائحة عبد الحميد الكاتب.... وللتدليل علي ذلك سنورد هنا ثلاثة نصوص أولها لعبد الحميد الكاتب وثانيها لطه حسين وثالثها لطارق حجي وسنتبين في هذه النصوص الخصائص المشتركة في التعبير اللغوي والتي توضح في نفس الوقت طبيعة اللغة العربية وفلسفتها البلاغية... ولكن قبل ذلك نحب أن نشير إشارة عابرة إلي المراحل التاريخية للنثر العربي فقد مر النثر العربي قديماً بمرحلتين أولهما مرحلة العناية بالأسلوب وجماليات اللفظة والجملة وذلك في العصر الأموي علي يد ابن العميد وعبد الحميد الكاتب وصديقه ابن المقفع وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة العناية بالفكر ومنطقية الكلام وإن لم تخل من جماليات الأسلوب وذلك في العصر العباسي بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والهندية وذلك علي يد الجاحظ... ثم نجد في عصرنا الحديث أن الرافعي والمنفلوطي امتداد لمدرسة الأسلوبين بينما نجد أن العقاد هو امتداد للجاحظ لما في نثره من منطقية وعقلانية ونجد في أسلوب طه حسين روائح شعرية من عبد الحميد الكاتب...
والآن نتأمل النصوص ليكون لكلامنا قيمة تطبيقية لا أن يكون أحكاماً تجريدية مستخدمين منهج الأدب المقارن يقول عبد الحميد الكاتب في رسالته إلي الكتاب:* * "إن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره إلي أن يكون حليماً في موضع المعلم، فقيهاً في موضع الحكم، مقداماً في موقع الإقدام، ومحجماً في موضع الإحجام، ليناً في موضع اللين، شديداً في موضع الشدة، مؤثراً للعفاف والعدل والإنصاف، كتوماً للأسرار وفياً عند الشدائد، عالماً بما يأتي ويذر، يضع الأمور في مواضعها، قد

---

* Selected Essays By T.S. Eliot P. 170

* * رسالة عبد الحميد الكاتب إلي الكتاب والموظفين شرح وتحقيق عبد العزيز الرافعي صفحة رقم ٥٠

نظر في كل صنف من صنوف العلم فأحكمه......... وإن نبا الزمان برجل منكم فأعطفوا عليه وواسوه، حتي ترجع إليه حاله، وإن أقعد الكبر أحدكم عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل رأيه وتجربته وقديم معرفته، وليكن الرجل منكم علي من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحدب وأحوط منه علي أخيه وولده، فإن عرضت للعمل محمده فليضفها إلي صاحبه، وإن عرضت مذمة فليحملها من دونه وليحذر السقطة والزلة والملال عند تغيير الحال..".

والان ما هي خصائص أسلوب عبد الحميد الكاتب؟ إننا نلاحظ في النص السابق الإطالة والإطناب والاستطراد فالجملة طويلة تصب في معني واحد ولكنها تتركب من جمل قصيرة متتالية يربطها حروف العطف كما تتميز جمله بالموسيقية وهي تتضح في السجع غير المتكلف أي ما يسمونه باسم "الترسل" كما تتميز عباراته بالصور الخيالية أي أن خصائص أسلوب عبد الحميد الكاتب هي الصور والموسيقي أي الشاعرية وهذه الخصائص سنجدها في أسلوب طه حسين وفي أسلوب طارق حجي لأنها خصائص مشتركة تعكس طبيعة اللغة العربية وفلسفتها البلاغية.... ولنتأمل النص الثاني وهو للدكتور طه حسين لنتأكد من ذلك فلنستمع إليه يصف نفسه في الأزهر "تقتحمه العين في هذا كله ولكنها تبتسم له حين تراه علي ما هو عليه من حال رثة وبصر مكفوف.. واضح الجبين مبتسم الثغر مسرعاً مع قائده إلي الأزهر لا تختلف خطاه ولا يتردد في مشيته ولا تظهر علي وجهه هذه الظلمة التي تغشي عادة وجوه المكفوفين...

تقتحمه العين ولكنها تبتسم له وتلحظه في شيء من الرفق حين تراه في حلقة الدرس مصغياً كله إلي الشيخ يلتهم كلامه التهاماً مبتسماً مع ذلك لا متألماً ولا متبرماً.." *

---

* كتاب الأيام ـ طه حسين ـ جـ ١ ـ صفحة رقم ١٤٨

وعندما نتأمل النص السابق لطه حسين نجده يتميز بنفس خصائص عبد الحميد الكاتب لأنها خصائص مشتركة تتعلق بطبيعة اللغة العربية وفلسفتها البلاغية.... وننتقل الآن إلي النصوص المأخوذة عن طارق حجي فلنستمع إليه يقول:

"ليس أقدر علي الوقوف علي كنه مذهب من المذاهب ممن جمع بين أمرين: أولهما: الإحاطة بأسسه وأفكاره ونظمه وآرائه إحاطة المنتمي، وثانيهما معايشة ومخالطة دعاته ومريدية ومعتنقيه ....

أما الأمر الأول فتوجبه ضرورتان:

- نفي سطحية حكم الغريب علي الشيء.
- ونفي شبهة التعرف إلي المذاهب من رصيف المعاداة والتحامل والتحفز. وأما الأمر الثاني فتستلزمه حقيقة أن الدعاة مرآة الدعوة (ونقول الدعاة لا التبع)... وقد أرادت الأيام لكاتب هذه السطور أن يمتحن بالإمتحانين أو بالأحري أن يمحن بالمحنتين آنف ذكرهما فيما يخص الماركسية... فما من كتاب أو بحث خطه أئمة الماركسية قديماً أو حديثاً إلا وقد أحاط به علماً وأنعم النظر فيه من موقع الإعجاب والإنتماء لا من موقع التحامل والعداء" *

فهنا نلاحظ نفس ما نجده عند طه حسين وعبد الحميد الكاتب من إطناب وتكرار وترسل وشاعرية وهذه كلها خصائص في طبيعة اللغة العربية إلا أن لأسلوب طارق حجي مزاج خاص فهو أيضاً يجمع بين شاعرية طه حسين وعقلانية العقاد لما في تحليلاته من منطقية أي ترتيب الأفكار واستخلاص النتائج من المقدمات في حبكة منطقية محكمة...

ولنستمع إليه أيضاً يقول عما حدث للشباب في مصر بسبب النكسة: "وأخذ الجيل الذي زلزلت الطامه كيانه وكبرياءه ينفرط عقده في اتجاهات عديدة فقطاع منه حمل جرته ونفسه المزلزلة وهاجر إلي عالم بعيد..... وقطاع آخر بقي علي أرض الرماد ولكن

---

* تجربتي مع الماركسية - طارق حجي - صفحة رقم ٥

بلب ضائع وعقل ذاهل وقد تضعضعت القيم في نفسه ومحقت محقاً أليماً.." *

ونلاحظ في أسلوب طارق حجي عبق الماضي ورائحة التراث ليس في تركيب الجملة فقط بل في الألفاظ والصور ومثال ذلك قوله عن الجماهير في مصر بعد النكسة "تعدي الحزن الأسيف مآقيها وسكن سويداء أفئدتها" * *

ولنستمع إليه يقول:

"وقد يتساءل البعض بحق عما أصاب التعليم في مصر في مقتل فجعله يهوي من شاهق ويسقط من سنام مجده لوهدته الراهنة" * * *

ولنستمع إليه أيضاً يقول:

"واليوم والتجربة الديموقراطية في مصر تسير كسير فلك نوح وسط موج كالجبال"

فهنا عبق الماضي والتأثر بأسلوب القرآن الكريم.

ولنستمع إليه أيضاً يقول:

"إلي تلك الأغلبية العظمي في بعض الأمصار تلهث في أودية التخلف... يغنيها الأمل عن العمل ويثنيها عن إتمام أمورها الكلل... قوض عزمها الوهن والملل.... وسكنت صدورها جبال الشنآن ونخرت عظامها العلل.. إلي تلك الأغلبية العظمي.... أهدي تلك الصحائف مسبوقة بكلمات الأستاذ العميد طه حسين:

"إلي الذين لا يعملون ويسوؤهم أن يعمل الناس" * * * *

فهنا نلاحظ مدي التشابه بين أسلوب طارق حجي وطه حسين وعبد الحميد الكاتب وما بينهم من خصائص مشتركة لا نجدها أبداً في اللغة الإنجليزية بين كتابها المعاصرين والقدامي فإن اللغة والمفردات التي يكتبها مثلاً "كولن ويلسون" لا علاقة بينها وبين أسلوب

---

* تجربتي مع الماركسية ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٣٨

* * تجربتي مع الماركسية ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٣٧

*** ما العمل ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٧١

**** الأصنام الأربعة ـ طارق حجي ـ صفحة رقم ٦

ومفردات شكسبير مثلاً فقد كان له معجمه الخاص الذي لم يعد متداولاً ولا الآن وكأنما هي لغة إنجليزية أخري...

والآن ما هي طبيعة اللغة العربية وما هي فلسفتها البلاغية التي أشرنا إليها فيما سبق مراراً؟ وإن أهمية الإجابة علي هذا السؤال هي: أنها تحدد لنا المقياس الذي نقيس به أسلوب أي أديب حسب اقترابه أو ابتعاده عن طبيعة لغتنا وفلسفتها البلاغية فمن كان قريباً منها كان مقبولاً لدينا ومن كان بعيداً عنها كان مرفوضاً...

وإن دراسة الإنتاج الأدبي لأي كاتب في العالم لا يمكن أن تتم بدون معرفة طبيعة اللغة التي يكتب بها ويرجع ذلك إلي سببين أما السبب الأول فهو أن اللغة هي أداة الكاتب في التعبير... فإذا كان الموسيقي أداته النغمة والرسام أداته الخطوط والألوان فإن الكاتب أداته الكلمة فالألفاظ هي الوسيلة التي ينقل لنا بها أفكاره وتجربته... واللغة ميراث مشترك لأبناء اللغة الواحدة لذلك يجب أن يكون إنتاج الكاتب مفهوماً للقارىء ومتمشياً مع طبيعة هذه اللغة من حيث قواعدها النحوية وطرقها التعبيرية وفلسفتها البلاغية حتي تتحقق عملية التوصيل للعمل الأدبي باعتباره رسالة موجهه من الأديب إلي القاريء وإلا تحول العمل الأدبي إلي شفرة سرية خاصة بكاتبها وحده...

وأما السبب الثاني عن أهمية اللغة فمترتبة علي السبب الأول لأنه قد ظهر في بلادنا كتابات شعرية وقصصية لا تمت إلي اللغة العربية بصله لأنها مغرقة في الرمزية والغموض بدرجة صرفت القراء عنها وعن الأدب... فكتابات هؤلاء الغامضين وإن تكن مكتوبة بالحروف العربية إلا أنها تشبه الكلمات التركية التي كانت تكتب بالحروف العربية ولكن لا نفهم منها شيئاً... وإن أمثال هؤلاء الكتاب الغامضين يدعون أنهم يقلدون حركات في الأدب الغربي مثل رمزية "بودلير" أو السريالية عند "وليم ساroيان" و"أندريه بريتون" .... أو حركة المودرنيزم وتيار الوعي عند "جيمس جويس" و"فرجينيا وولف"، و"فوكنر" ونحن نقول لهؤلاء الغامضين إنهم يتناسون حقيقة هامة هي أن الأدب بالمفهوم الإعلامي عبارة عن رسالة لها طرفان هما المرسل والمستقبل وإنها يجب أن تكون مفهومة للطرفين

وإلا فقدت دلالتها إذ لمن يكتب الأديب عندئذ؟ فإن هؤلاء الغامضين يظنون أن قراءة القصيدة مثل حل الكلمات المتقاطعة ويتناسون أنهم عرب وأن أداتهم هي اللغة العربية بما لها من خصائص فنية متوارثة ينتظر القاريء العربي أن يجدها في إنتاجهم ولذلك يصدمه ما فيه من غموض لا يحس له بأي صدي في نفسه وكأنما هو مكتوب بلغة هيروغليفية وهذا ما أحدث الطلاق بين جمهور القراء وبين هؤلاء الكتاب الغامضين لأن الأدب أو الفن بوجه عام هو إحدي وسائل الاتصال بين الناس. *

وهذا يفسر لنا قبول الأدب العربي والقاريء العربي للحركة الرومانسية لأن اللغة العربية بطبيعتها لغة عاطفية ولغة شاعرية.... وهذا يفسر لنا أيضاً عدم قبول حركات مثل اللامعقول والسريالية والرمزية فكلها محاولات فاشلة لأنها منافيه لطبيعة اللغة العربية تماماً مثل محاولة زرع جسم غريب في جسد الإنسان فإن أنسجته ترفضه وتلفظه...

وتفسير ذلك هو أن المجاز في اللغة العربية ليس مجازاً مطلقاً وإنما يجب أن يكون هناك دائماً علاقة منطقية فالاستعارة مثلاً بها علاقة مشابهة والمجاز المرسل به علاقات أخري مثل السببية أو الكلية أو المحلية، والتشبيه دائماً نجد فيه ما يسميه أهل البلاغة باسم وجه الشبه، وكذلك الاستعارة وهي قفزة بعد التشبيه أي قفزة أوسع في عالم الخيال، إلا أننا نجد فيها علاقة منطقية يسمونها باسم الجامع أي ما يجمع بين المشبه والمشبه به وإن يكن يحذف أحدهما فتسمي الاستعارة عندئذ تصريحية أو مكنية.

والبلاغة العربية تعتمد علي القيم الجمالية في جزئيات الكلام أي في الجملة بل في اللفظة وهذا هو مبحث علم "البديع" وهذا أيضاً هو الطابع العام للإنتاج الفني العربي... فالموسيقي العربية مثلاً تعتمد علي جمال النغمة وجمال اللحن باعتباره وحدات صغيرة يجب أن تكون جميلة حتي تحقق للمستمع التطريب فإذا سمعها اهتز

---

* النماذج البشرية في أدب ثروت أباظة ـ د. عبد العزيز شرف صفحة ٢٨٩

قائلاً: الله الله وهذا هو نفس ما يحدث عند سماعه بيتاً شعرياً واحداً معزولاً عن القصيدة التقليدية
أما الموسيقي الأوروبية فعلي العكس من ذلك ينبع الجمال فيها من الهارمونية بين الأنغام المعقدة التركيب ولذلك لا تألف أذن المستمع العربي تلك الموسيقي وقد يجد فيها زعيقاً ونشازاً وربما كان سبب ذلك هو أن العقل الأوروبي يمتاز بميله نحو التركيب والتعدد والهارمونية بينما العقل العربي يميل نحو التبسيط والجزئية والنظرة الأحادية وينعكس ذلك في إنتاجه الفكري والفني. ولذلك نجد الموسيقي الأوروبية تتميز بالهارمونية وتتذوقها ككل وكذلك القصيدة الأوروبية تتميز بالوحدة العضوية بينما القصيدة العربية الكلاسيكية تتميز بانفصال أجزائها بحيث أن البيت وحدة القصيدة ويمكن تذوقه وحده مثل الموسيقي العربية يمكن تذوقها كجزء مع ملاحظة أصلاً فن موسيقي منفصل وإنما الموسيقي مجرد تابع زخرفي للكلمات في الغناء وهذا هو نفس ما نجده في فن التصوير العربي فالفن الإسلامي يعتمد علي السيمترية * أي التقسيم الهندسي المتماثل الذي تتكرر فيه وحدات زخرفية جميلة متشابهة مثلما نجد في السجاد وفي نقوش الأرابسك في المشربيات والمقرنصات في أعمدة المساجد وقبابها من الداخل ونقوش المنبر والحوائط فهناك دائماً عناية بزخرفة الوحدات الصغيرة أي عناية بالجمال في الجزئيات... وهذا هو الطابع العام لكل الفنون العربية وهذا بالتالي هو جوهر البلاغة العربية...
وكاتبنا طارق حجي يتحقق في إنتاجه الفكري والأدبي خصائص البلاغة العربية بمعني جمال الجزئيات أي بلاغة الألفاظ والصور كوحدات تشكل النسيج الفني لكتاباته، ونعني بذلك أسلوب كاتبنا في اختيار الألفاظ وبناء الجمل وتركيبها وترتيبها بطريقة سيمترية موسيقية يحددها ما يسمونه بعلم البديع في البلاغة العربية التي تشمل أيضاً علم البيان وعلم المعاني... أما البديع فيشمل الجناس والطباق والتورية وغير ذلك مما يستعمله كاتبنا

---

* م.س. ديماند ـ الفنون الإسلامية ـ دار المعارف صفحة رقم ٧

دون إسراف أو افتعال أو زيادة وإنما في حدود ما يناسب المضمون ويؤكد المعني..
أما البيان فيشمل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل وقد سبق الحديث عن ذلك...
وأما المعاني فنجد كاتبنا طارق حجي يجيد استغلال قواعدها إذ يحسن اختيار الأساليب الإنشائية أو الخبرية حسب مقتضي الحال كما يجيد الفصل والوصل والقصر في مواضعه، وكل هذا يحقق السيمترية في كتابات طارق حجي وكأنما هي لوحات موسيقية... ولم يقع كاتبنا فيما وقع فيه غيره من غموض وإلغاز وتعقيد وربما كان سبب ذلك هو طبيعة كتاباته وأنها دراسات سياسية واقتصادية تتطلب الوضوح إلا أن بعض من يكتبون مثل هذه الدراسات من أدعياء الماركسية في مصر لا تفهم لهم كلاماً، والأدهي من ذلك تعقيداتهم حين يكتبون في النقد الأدبي وذلك بعكس كاتبنا الذي يتميز دائماً بالوضوح حتي في دراساته النقدية... وهذا القدر من المنطق والوضوح يتسق تماماً مع فلسفة البلاغة العربية وطبيعة اللغة العربية التي تتميز أيضاً بالإطناب لما فيها من تعدد المرادفات وهكذا نقبل كتابات طارق حجي ونقدرها وبنفس المقياس نرفض غموض الآخرين ونرفض الذين يكتبون بطريقة مختزلة عارية من الصور والإيقاع الموسيقي كأن يقول أحدهم واصفاً بطل قصته: (خرج.. دخل.. أقفل الباب... جلس... إلخ) فهذا الأسلوب غريب تماماً عن طبيعة لغتنا الشاعرة...
وخلاصة القول هي أن طارق حجي رغم أن كتاباته في معظمها تحمل فكراً سياسياً إلا أن وراءها أديب كبيربلغ بأسلوبه اللغوي قمة تعبيرية شاهقة هي نفس قمة طه حسين وعبد الحميد الكاتب...

الخاتمة

إن طارق حجي ليس مجرد كاتب وإنما هو أحد المفكرين القلائل المنظرين لأحوال أممهم وشعوبهم... وهو ليس حزبياً لأنه مفكر شأنه ككل مفكر يريد رصداً شاملاً وتنظيراً كاملاً لحركة التاريخ والفكر والمجتمع وهو في مقالاته الصحفية يختلف عن كثير ممن يخوضون في موضوعات السياسة والاقتصاد والذين قد يتضاربون في أقوالهم ويناقضون الخط العام لسياسة صحفهم وأحزابهم فمثلاً نجد جريدة الوفد المفروض أنها تمثل الفكر الليبرالي ولكننا نجدها تناقض ذلك الخط الفكري حين تهاجم إلغاء الدعم لمجرد المعارضة لسياسة الدولة... أما كاتبنا فيتميز بالوحدة الفكرية وبأن كل كتاباته تنبع من منطلقات فكرية واحدة وبأن له أرضية أيدولوجية ثابتة واضحة المعالم فكاتبنا صاحب منهج فكري أو صاحب نسق فكري محدد كما أنه يختلف عن كثير من كتاب السياسة في أيامنا هذه الذين سقطوا في وهدة الحوار الهابط والبذاءات وإنما يتميز أسلوبه في النقاش بالهدوء والموضوعية أي أنه صاحب أسلوب حضاري في الحوار الفكري...

وإن رسالة طارق حجي التي تتضح في كل كتبه وأبحاثه ومقالاته تتركز في ثلاثة محاور... أما المحور الأول فهو محاربة الفكر الشمولي سواء في ذلك الماركسية التي أفرد لنقدها ثلاثة كتب، أم الفكر المتطرف دينياً والذي تناوله في عدة كتب منها كتاب "ثالوث الدمار" وكتاب "ما العمل؟"...

أما المحور الثاني لرسالة كاتبنا فهو الدفاع عن الفرد وعن الحرية بتطبيقها في مجال السياسة أي الديموقراطية الغربية وتطبيقها في مجال الاقتصاد أي الرأسمالية أما المحور الثالث فهو تحليل مشاكل وواقع مصر وتقديم العلاج والحلول لها وقد شرح ذلك في عدة كتب منها كتاب ما العمل؟ وكتاب ثالوث الدمار وكتاب الأصنام الأربعة ويقصد بهذه الأصنام القطاع العام الذي يعاني من مشكلة

الادارة وكذلك التعليم الذي ساءت أحواله وكذلك الزراعة والإسكان بقوانينهما الظالمة والمدمرة وكاتبنا لا يتعامل مع الأعراض وإنما يتعامل مع الأمراض المحددة ولا يؤمن بالحلول الوسط وإنما يؤمن بالحل الجذري لا الحل الترقيعي أو الترميمي..وهكذا نجد أن المنطلقات الفكرية لطارق حجي هي الإيمان بمبدأ الفردية بتطبيقاته السياسية والاقتصادية وفي مقابل ذلك الكفران بالماركسية والشمولية والديكتاتورية...

أي أننا يمكننا تصنيفه من أصحاب الفكر الليبرالي ومن رافضة الماركسية...

ولذلك بدأ كتاباته بعد تحوله من الإيمان بالماركسية إلي النقيض الفكري فأصدر كتابه الأول "أفكار ماركسية في الميزان" سنة ١٩٧٨ وهو دراسة موضوعية أكاديمية للمذهب الماركسي تناول فيها بالنقد خمس مسائل هي أولاً مسألة الدولة في الفكر الماركسي وثانياً مسألة التحول للفكر الاشتراكي وثالثاً مسألة ديكتاتورية البلوريتاريا ورابعاً مسألة القومية في الفكر الماركسي ومسألة الأوروشيوعية...

وقد فند في كل ذلك مزاعم الماركسية وأثبت بطلانها وأنها قائمة علي تكرار الدعايات الكاذبة وأنها لا تخدع إلا الصبية من أنصاف المثقفين من الطلبة والموظفين..

ثم أصدر كتابه الثاني "الشيوعية والأديان" وذلك في عام ١٩٨٠. وفيه يتناول أربع مسائل هي أولاً مسألة الدين في الفكر الماركسي وكيف أن كارل ماركس يعتبر الدين أفيون الشعوب ويرفضه وثانياً مسألة السياسة الشيوعية والدين تلك السياسة التي تميزت بمرحلتين أما المرحلة الأولي فهي مرحلة الرفض وقد بدأت منذ عام ١٩١٧ حتي عام ١٩٥٥ حيث بدأت مرحلة المهادنة أي القبول رياء للدين وذلك لطعن الإسلام بالإسلام وربطه بالاشتراكية لإحلالها محله...

أما المسألة الثالثة التي يتناولها كاتبنا في كتابه هذا فهي مسألة الشيوعية في نظر الإسلام وهنا يوضح لنا رأي الإمام الغزالي في الأصول الخمسة أي أن مقصود الشرع من الخلق هو تحقيق خمسة أصول وهي أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم،

والماركسية يرفضها الرسلام ولا يمكن أن يتعايش معها لأنها تهدم الدين وتهدم النفس بدليل آلاف القتلي علي يد ستالين وتهدم العقل بنشرها الفودكا وتهدم النسل بهدمها الأسرة وتهدم المال برفضها الملكية أي أن الماركسية تهدم الأصول الخمسة...

أما المسألة الرابعة فهي فكرة جديدة لم يسبقه إليها كاتب في الشرق أو الغرب فقد لاحظ كاتبنا أن الماركسية هي رد متطرف علي التطرف الكاثوليكي ولا تنتشر في بلاد أوروبا الكاثوليكية ولا تنتشر في البلاد البروتستانتية... وإن هذا الحزب هو أيضاً دراسة أكاديمية موضوعية...

ويؤكد كاتبنا في كتابه هذا أن الإصلاح عن طريق أي وسائل تتجاهل الأسس الإسلامية أو تعارضها لا يكون لها نصيب غير الفشل...

وفي نهاية هذا الكتاب نجد باباً بعنوان "مذهب أم طبع" وهذا الباب هو امتداد لكتاب العقاد "الشيوعية والإنسانية مذهب ذوي العاهات" ففيه هجوم علي الماركسيين كأشخاص لأن فساد الدعاة قرينة علي فساد الدعوة، ومن هذه النهاية بدأ كتاباً كاملاً عنوانه "تجربتي مع الماركسية" الذي أصدره عام ١٩٨٣ والذي يكتسب قيمته من كونه دراسة ذاتية تدخله في باب الأدب، لأنه قد يأتي من يكتب عن الماركسية دراسة موضوعية أخري علي نفس المستوي من الجودة لكن لن تتكرر تجربة كاتبنا الشخصية فهذه خصوصية الفن والأدب التي تكسبه البقاء والخلود والتي تعطي للكتاب أثره السيكولوجي الممتع علي القراء... ونجد كاتبنا علي طريقة "ديكارت" في شكله المنهجي ينتقل من الهدم إلي البناء فينتقل من هدم الماركسية إلي تأكيد إيمانه بالديموقراطية الغربية وبالحضارة الأوروبية وبالرأسمالية وفي ضوء هذا الرفض للماركسية والإيمان بالحرية والفردية يتناول بالتحليل مشاكل مصر ويضع لها الحلول من خلال مشروعه القومي ومشروعه الحضاري الذي يبدأه بتحديد هوية مصر واختيارها السياسي وفلسفتها التاريخية... فيري كاتبنا مع محمد علي ومع لطفي السيد أن هوية مصر هي المصرية ويري أن علينا التوجه إلي الغرب للسير علي درب الحضارة الأوروبية، فنحن في نظره فقراء لأننا متخلفون حضارياً وليس العكس وكاتبنا يؤمن علي عكس ما

يردده الكثيرون من أننا بحاجة إلي العلوم الطبيعية فقط لنهضتنا لكن كاتبنا يري أن العلوم الإنسانية والثقافة أسبق من العلوم الطبيعية وأن هذا ما يؤكده التاريخ في نشأة كل الحضارات فسقراط وأفلاطون وأرسطو وسوفكليس وهوميروس قد ظهروا قبل أقليدس وأرشميدس وجالينوس والشعراء وعلماء الكلام ظهروا قبل الخوارزمي وجابر بن حيان والرازي في الحضارة الإسلامية وديكارت ظهر قبل أينشتين في الحضارة الغربية...

وهكذا يؤكد كاتبنا أهمية الثقافة والحضارة في حل مشكلات مصر... ويرفض فلسفة التاريخ عند ماركس ويؤمن في مقابلها بدور الفرد في حركة التاريخ ويؤمن مع "أرنولد توينبي" بفكرة الاستجابة للتحديات كأساس لحركة التاريخ..

ويبدأ كاتبنا في مشروعه القومي بتحليل وتأصيل المشكلة المصرية فيحدد أهم الأمراض السياسية والإقتصادية والإجتماعية ويركزها في عدة نقاط تجمع مئات المشاكل التي هي في الواقع مجرد أعراض متعددة في ظاهرها لمرض واحد فالمشكلة المصرية هي ميراث لضعف الديموقراطية وللاقتصاد الموجه.. ولذلك نجده يضرب لنا مثالاً بالشارع المصري ومشاكله الحياتية اليومية المتعددة من روتين إلي أزمة مرور إلي بطالة إلي غلاء الأسعار إلي أزمة الأخلاق والسلوك وهكذا آلاف المشاكل التي تقابلنا في شتي المجالات ولكن كاتبنا يرجعها إلي أصل مشترك لأنها مظاهر وأعراض لمرض أو أمراض قليلة محدودة هي الأصنام الأبعة أي مشكلة التعليم الدي أفسدته المجانية فأصبح يتكلف آلاف ومشكلة القطاع العام ومشكلة فساد الإدارة وفساد النظام الاشتراكي نفسه وكذلك مشكلة قوانين إيجارات الإسكان والزراعة هذا إلي جانب "ثالوث الدمار" الذي أشار إليه في كتاب بهذا العنوان أصدره عام ١٩٩٠ ويقصد به الدعم والإنفجار السكاني والتطرف...

وهكذا يضع كاتبنا يده علي بضعة أمراض محدده حتي لا نتوه وسط الركام الهائل للأعراض فنحاول علاج هذه الأعراض دون التعرض لأصل الداء الذي يظل مستفحلاً ومستعصياً...

ولذلك وبعد هذا التشخيص يبدأ في العلاج الصحيح منذ صدر لنا

كتابه "ما العمل؟" سنة ١٩٨٦ حتي كتابه "الإدارة .. والمجتمع" سنة ١٩٩١.

وهو يبدأ الحل بالتأكيد علي ضرورة تحديد إختيار مصر هل نتجه نحو الاشتراكية بعد أن ثبت فشلها أم نتيجة للديموقراطية والحرية ونظام السوق الحر، خاصة بعد أن ثبت أن النظام الشمولي والديكتاتوري ونظام الحزب الواحد والنظام الاشتراكي وكل ما أشاعته فترة الستينات هو سبب مشكلة مصر وأن العلاج الصحيح في الطب هو الجراحة لا المسكنات رغم ما تسببه الجراحة من هلع وألم...

لذلك يهدم كاتبنا الأصنام الأربعة ويحذرنا من ثالوث الدمار ويطالب بتعديل قوانين إيجارات الإسكان والزراعة والاهتمام بالزراعة من منظور رأسمالي لا من منظور اشتراكي لأن الزراعة بالذات لابد فيها من الحافز الفردي وهذا ما أنكره الاتحاد السوفيتي فكانت النتيجة الجوع ومد الأيدي لأوروبا وأمريكا..

أما التعليم فيجب الاهتمام بالمدرس لأنه عصب العملية التعليمية وعدم السجود لصنم المجانية والاهتمام بالتعليم الفني أما أموال الدعم المهدرة فيجب توجيهها نحو استثمارات تحقق مزيداً من فرص العمل ومزيداً من الثروة.

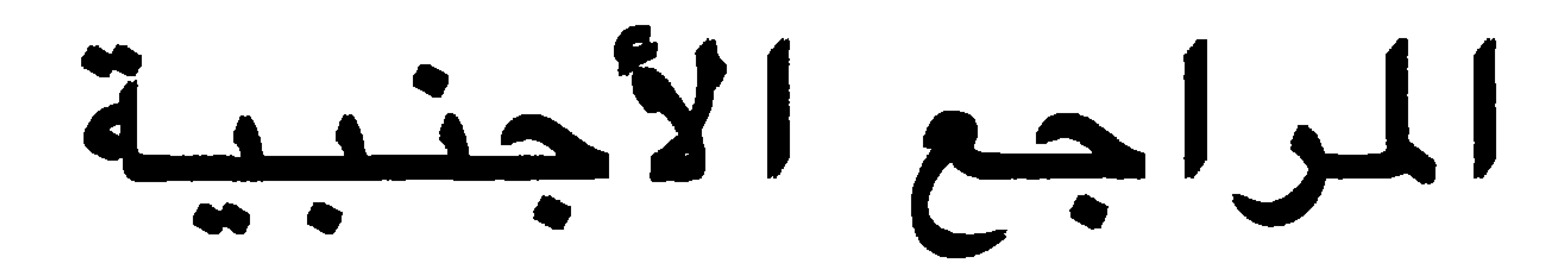
وأما القطاع العام فلن يجد حتي من يشتريه لذلك يجب البدء ببيع المنشآت ذات الطابع التجاري المتعلق ببيع السلع الاستهلاكية لأن هذه ليست وظيفة الدولة وإنما هي طابع المشروعات الفردية...

وخلاصة القول عند كاتبنا هي أن مشكلة مصر هي ميراث ضعف الديموقراطية والاقتصاد الموجه وأن الحل هو المزيد من الحرية والديموقراطية والتخلص من الاقتصاد الموجه ونبذ النظام الاشتراكي الفاشل، وكاتبنا لا يردد مجرد شعارات وإنما يحدد حلولاً عملية في كتابه "ما العمل؟" وفي كل كتاباته الأخري التي يوضح فيها مشروعه الحضاري ومشروعه القومي من خلال منهج فكري واضح ونسق فكري محدد، وقد تختلف معه في الرأي ولكن لا تستطيع أن تنكر أنه في كل ما كتبه كان وطنياً صادق الوطنية مخلصاً لدينه ولبلده مهموماً بمشاكلها حريصاً علي مصلحتها وأنه

يستحق الدراسة والتقدير فإن طارق حجي هو بحق ديكارت مصر وعقادها الجديد...

المراجع العربية

١ـ أفكار ماركسية في الميزان سنة ١٩٧٨ طارق حجي.
٢ـ الشيوعية والأديان سنة ١٩٨٠. طارق حجي.
٣ـ تجربتي مع الماركسية سنة ١٩٨٣ طارق حجي.
٤ـ ما العمل؟ سنة ١٩٨٦ طارق حجي.
٥ـ الأصنام الأربعة سنة ١٩٨٨ طارق حجي.
٦ـ ثالوث الدمار سنة ١٩٩٠. طارق حجي.
٧ـ مصر بين زلزالين سنة ١٩٩١ طارق حجي.
٨ـ الإدارة والمجتمع سنة ١٩٩١ طارق حجي.
٩ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي
١٠ـ رسالة عبد الحميد الكاتب إلي الكتاب تحقيق وشرح عبد العزيز الرفاعي.



1. Ancient Egypt by Erman.
2. A History of the United States by R.B. Nye & J.F. Morpurgo
3. Modern American Poetry by Louis Antermyr
4. American Novel Writers by Hary Moore
5. Liberty in the Modern State by Harold Lasky
6. The Modern Age by G.H. Bantock
7. Selected Essays by T.S. Eliot.

كتب صدرت للمؤلف

- ملامح الفكر الأوروبي المعاصر	دار الهلال
- المرأة في الأدب العالمي	الدار المصرية للطباعة والنشر
- ملامح الأدب السعودي	سلسلة المكتبة الثقافية
- الحركة الشعرية في السعودية "حسن عبد الله القرشي"	مكتبة مدبولي
- الشهيدة دميانة	مسرحية شعرية

كتب تحت الطبع

- الرواية الأمريكية	دار المعارف
- أبو زيد الهلالي سلامة	مسرحية شعرية.
- المعتمد بن عباد	مسرحية شعرية.


Bibliotheca Alexandrina
03354954